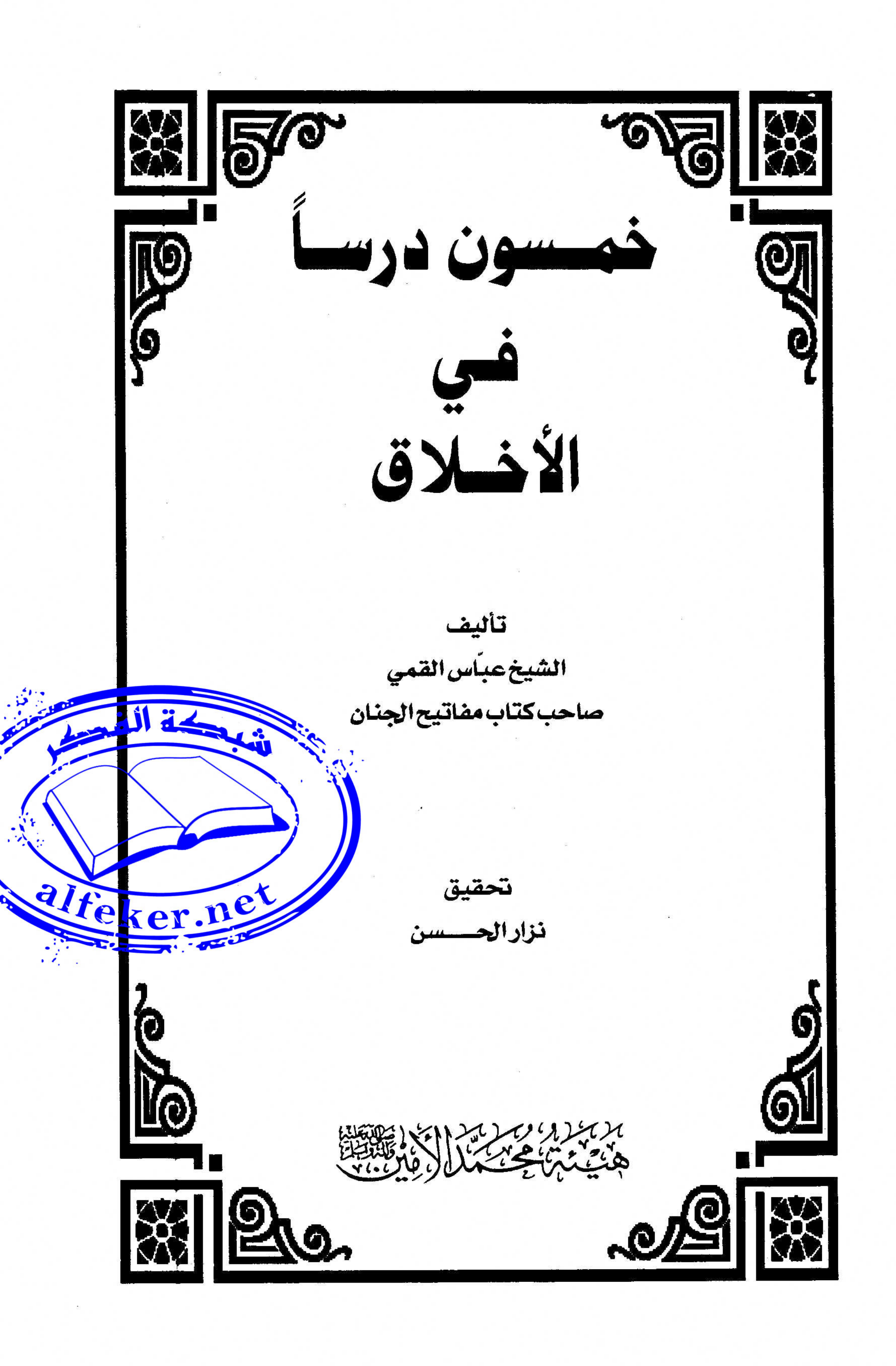


خمسون درساً
في
الأخلاق
تأليف
الشيخ عبّاس القمي
صاحب كتاب مفاتيح الجنان
تحقيق
نزار الحسن
مكتبة الأمين - الكويت - بنيد القار



خمسون درساً في الأخلاق

تأليف

الشيخ عبّاس القمي

صاحب كتاب مفاتيح الجنان

تحقيق

نزار الحسن

هيئة محمد الأمين صلى الله عليه وآله وسلم






الطبعة الأولى

٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ

مـــراكـــز التـــوزيع

مكتبة الأمين

العراق - كربلاء المقدسة

شارع العباسية - هاتف ٣٣٥٢٦٢

مكتبة الأمين

إيران - قم - ص.ب : ٤٣٥٩٠

هاتف ك ٧٧٤٢٥٩٩

مكتبة الأمين

للطباعة والنشر

الكويت - ص.ب : ١٥٩١٠

مكتبة الأمين - بنيد القار - حسينية أحمد عاشور











الاهداء:

أُهدي هذا الجهد المتواضع البسيط إلى صاحب الخُلق الرفـيع، والقلب الرقيق، والأدب البديع رسول الإنسانية العظيم، مـحمّد بـن عبدالله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

عبدكم نزار

مقدّمة المحقّق



والصلاةُ والسلام على محمّد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، لاسيّما اللعن الدائم على أعدائهم الى قيام يوم الدّين.

علمُ الأخلاق يُعتبر من أُمهات المسائل الاجتماعية بل الاخلاق أساس المجتمع، لانّ المجتمعاتِ والشعوبَ بأخلاقها وقيمها لا بحضارتها وقدمها. ولولاها انعدمتْ الحياة المدنية واصبحت غابةً يسودها القوي والضعيف فيها منسحق.

والثابت أنّ الاخلاق هي المعيار والضابط الذي يُقاس به، لأنّ المتتبّع لسيرة أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ ورواياتهم يجد أنّ حسن الخلق هو سبب دخول الفرد الى الجنة هذا في دار الآخرة، وأما في الدنيا فهو سببٌ لرقي الإنسان إلى ذروة الكمالات، بعد هذا إنّ رسول الله محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ لما بُعِث للإنسانية بعد إنغماسها بالحيرة والضلال والفساد قال: «**بعثتُ لأُتمم مكارم الأخلاق**» لانّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ يدرك حقيقة الاخلاق ومدى تأثيرها في المجتمع المتفسخ خُلقياً كالمجتمع الجاهلي أنذاك.

ولأهمية الاخلاق ودورها الفاعل في النفوس نرى أنّ الله سبحانه أثنى على نبيه الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله ـ بحسن الخُلق حيث قال: ﴿**وإنّك لعلى خُلقٍ**

عظيم﴾ بينما رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ هو الانسان المعصوم الكامل في كلّ شيء ورغم هذا الكمال المطلق الله سبحانه وتعالى اختار لمناغمةِ حبيبه محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ ومدح نجيبه بعبارةٍ وجيزة عالية المضمون سامية المعنى ﴿إنّك لعلى خُلقٍ عظيم﴾ إذن كم هو عظيم حسن الخلق لكي يختاره الله على جميع الصفات والكمالات النبوية؟

إضافةً إلى ذلك قد أثبتت التجربة على مرِّ العصور والأزمان أنّ صاحب الخُلق الرفيع يُخلّد بأخلاقه وتترنم به الاجيال مدى الأيام والأعوام.

وكذلك أنّ سيئي الأخلاق أصبحوا لعنةً على شفاه التاريخ لوعورة أخلاقهم وغلظة قلوبهم.

ولذا نرى علماءنا أدركوا السرَّ في نشر الأخلاق فشمروا عن سواعدهم الشريفة فصنفوا على مرِّ القرون تصانيف عديدة، ومن بينهم:

١ـ أمين الاسلام الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب مجمع البيان من أعلام القرن السادس الهجري المتوفَى (٥٤٨)، حيث ألّف كتاباً أسماه (الآداب الدينية).

٢ـ ابن أمين الإسلام رضي الدّين أبي نصر الطبرسي ألف كتابه الشهير (مكارم الأخلاق).

٣ـ ابن صاحب مكارم الاخلاق المتقدّم أبي الفضل علي الطبرسي المتوفى في أوائل القرن السابع الهجري ألّف كتاباً أسماه (مشكاةُ الأنوار في غرر الأخبار).

٤ـ الخواجة نصيرالدين الطوسي المتوفَى ٦٧٢، ألّف كتابه (أوصاق الأشراف).

٥ـ محمد بن محمد السبزواري من أعلام القرن السابع الهجري ألّف كتابه (جامع الأخبار).

٦ـ العلامة محمد باقر المجلسي صاحب البحار ألّف كتابه (حليةُ المتّقين).

٧ـ الفيض الكاشاني ألّف كتابه (المحجّة البيضاء).

٨ـ الشيخ الجليل محمد مهدي النراقي المتوفَى عام ١٢٠٩ هـ ألّف كتابه (جامع السعادات).

٩ـ السيد عبدالله شبّر المتوفَى ١٢٤٢ هـ ألّف كتابه (الأخلاق).

١٠ـ ومن بين هؤلاء الافذاذ الروحانيين الشيخ المحدث الثقة عباس القمي رحمه الله الذي عُرف بإخلاصه وتقواه وزهده وورعه المولود في عام (١٢٩٤) والمتوفى (١٣٥٩) الذي طالما كتب كتباً قيمة أغنت المكتبة الاسلامية ومن بين ما سطّرته أنامله الشريفة هذا الكتاب الاخلاقي الماثل بين يدي القارىء المتألف من خمسين درساً في الأخلاق، الذي يُعد من الدروس المختصرة النافعة التي لايُستغنى عنها، لانّها تُناغم الضيمر الحي.

وأصل هذا الكتاب هو اللغة الفارسية ولكن بعد سنوات طويلة تُرجم الى اللغة العربية من قبل إحدى المؤسسات، وبعد ما عثرنا على نسخة مترجمة فيها بعض الأخطاء، فبذلنا جهدنا على تصحيح العبارات وتقطيعها، واستخراج الروايات من مصادرها، وأضفنا لكلِّ درسٍ عدة روايات تنسجم معه وبعد هذا نسأل الله تعالى التوفيق والعمل بهذه الدروس الأخلاقية بحقّ محمّد وآله.

١٨ شوال ١٤٢٤ هـ

نزار نعمة الحسن

قم المقدّسة



نبذة عن حياة المؤلِّف

ولد الشيخ عبّاس القمي كما يقول في كتابه (الفوائد الرضوية): في سنة ١٢٩٤ هـ في مدينة قم المقدّسة، فبقي هناك أيّام طفولته وشبابه وبدأ بتحصيل المقدمات من العلوم الفقهية والأصولية.

وفي سنة (١٣١٦ هـ) ذهب المحدّث القمي الى النجف الأشرف لتكميل دروسه وشارك في حلقات دروس العلماء الأعلام والمدرسين الكبار، ولكن رغبته في علم الحديث كانت أكثر من سائر العلوم فصمّم على السعي في إتقانه وبذل الجهد في تعلّمه. فعليه لازم المحدّث الشهير والعلاّمة الكبير ميرزا حسين النوري ـ صاحب كتاب مستدرك الوسائل ـ وبقي معه يقتبس من مشكاة علمه.

من زهده:

كانت معيشته أقل من حياة كثيرين، كان قباءه من كرباس معطّر ونظيف ولا يستبدله لعدة سنين، دون أنْ يُفكّر بالتجمّل والثروة. لم يستفد من سهم الإمام عليه السلام لمخارجه وكان يقول: إني لستُ أهلاً وكان محتاطاً في أكله وشربه بأنْ لا يكون من شبهة.

وفي يوم جاءت إليه إمرأتان من شيعة الهند وأرادتا إعطاءه مبلغ (٧٥) روبية هندية شهرياً لمخارجه المنزلية، فلم يقبل وكانت مخارجه آنذاك في كلِّ شهر تساوي

(٥٠) روبية، وقال في جواب أحد أقرباءه المصرّ على قبوله: إنّي لا أدري كيف أُجيب يوم القيامة عن هذا المصرف الذي نصرفه الآن فكيف أثقل حملي بقبولي ذلك المبلغ؟!

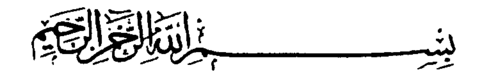
من إخلاصه:

وقال لابنه ذات يوم: لمّا ألّفتُ كتاب (منازل الآخرة) وطبعته جئتُ إلى مدينة (قم) فوصل هذا الكتاب الى يد الشيخ عبدالرزاق الذي كان يوعظ الناس في حرم السيدة المعصومة عليها السلام قبل صلاة الظهر، وكان أبي محمّد رضا من مريدي الشيخ عبدالرزاق، فكان الشيخ يفتح كتاب منازل الآخرة ويقرأ منه للحاضرين. فجاء أبي ذات يوم الى البيت وقال لي: يا شيخ عباس ليتك كنتَ كالشيخ عبدالرزاق فتصعد المنبر وتقرأ لنا هذا الكتاب. أمسكت أنْ أقول له هذا الكتاب منّي وقلتُ له: ادعُ لي يا أبة أنْ يوفقني الله لذلك.

كان المحدِّث القمي ورعاً مخلصاً متهجداً صالحاً ومؤلّفاً ومحدّثاً له إهتمام خاص بالكتب ولاسيما الحاوية من علوم آل محمّد عليهم السلام من الحديث والدعاء وغيرهما فألّفَ عشرات من الكتب: منها: سفينة البحار، ومفاتيح الجنان، ونفس المهموم، والفوائد الرضوية، ومنتهى الآمال وغيرها.

ومنها هذا الكتاب الماثل بين يديك (خمسون درساً في الأخلاق) الذي ألّفه باللغة الفارسية، وقد تُرجم الى اللغة العربية.

مقدّمة المؤلف



الحمد لله ربّ العالمين والصلاة على محمّد واله الطاهرين.

وبعد .. فإنّ كسير الجناحين، وضعيف الحال، والساقط في مصائد الأماني والآمال «عباس بن محمد رضا القمي» بصّره الله عيوب نفسه، وجعل مستقبل حاله خيراً من أمسه، يقول: إنّ هذه الرسالة تشتمل على عدّة كلمات طريفة، ومواعظ وحكم شريفة. آمل أنْ لا يتلقّاها أُولو الألباب والعقول على أنّها مجرّد خطوط ونقوش، بل كالدُّرِّ الثمين يتّخذونها ثابتةً عند آذانهم ليعملوا بمُفادها.. ولا ينسوا هذا المجرم المقصِّر من دعائهم له بالخير.



الدرس الأوّل:

١ـ الخوف[١] والخشية[٢]

أيها العزيز اخشَ الله ـ عزّوجلّ ـ وتنبّه على عظمته وجلاله، وتفكّر دائماً في أحوال يوم الحساب، وتذكّر أنواع العذاب.

تصوّر الموت وصعوبة عالم البرزخ ومؤاخذة يوم القيامة، واتلُ وتدبّر الآيات والأخبار التي وردت في باب الجنّة والنار وأحوال الخائفين من الأخيار[٣]

---

(١) قال نصير الدين الطوسي ﷺ في أوصاف الأشراف ص٦٣ الفصل الثالث: الخوف: عبارة عن تألم الباطن بسبب توقع مكروهٍ يُمكن حصول أسبابه، أو توقع فوات مرغوب يتعذر تلافيه فإن كانت الأسباب معلومة الوقوع أو مظنونة بالظن الغالب تُسمّى أيضاً انتظار المكروه والتألم يكون كثيراً، وأيضاً قال: (الفرق بين الحزن والخوف: الأوّل على ما فات والثاني مما لم يأتِ).

(٢) وقال في نفس الكتاب ص٦٤: الخوف والخشية إنْ كانا في اللغة بمعنى واحدٍ، إلاّ أنّ في عُرف هذه الطائفة بينهما فرق، فإنّ الخشية مختصة بالعلماء (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)، والجنة أيضاً مختصة بهم (ذلك لمن خشي ربّهُ). والخوف منفي عنهم (لاخوفٌ عليهم ولا هُم يحزنُون).

(٣) قال تعالى في سورة النازعات: (أما مَنْ خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى).

وقال تعالى: (مَن خَشي الرحمن بالغيب وجاءَ بقلبٍ مُنيبٍ ادخُلُوها بسلامٍ ذلك يوم الخلود) (ق: ٥٠) وقال تعالى: (ويخشونَ ربّهُم ويخافُونَ سُوء الحسابِ) (الرعد/٢١).

=

واعلم أنّه كلّما ازدادت معرفة العبد بعظمة الخالق وجلاله صار أبصر بعيوبه، وازداد خوفهُ من ربّه[(١)].

فإنّ الله ـ عزّوجلّ ـ نسَب الخوف منه وخشيته للعلماء، فقال: ﴿إنّما يخشى اللهَ مِن عِبادِهِ العُلماءُ﴾[(٢)].

= وقال تعالى: (فلاتخافوهم وخافُونِ إن كُنتُم مؤمنين) (آل عمران / ١٧٥).

وهناك الكثير من الايات في هذا الخصوص، وأما الروايات الشريفة التي ذكرت الخوف والخشية منها:

روى السبزواري في جامع الأخبار ص٢٥٨ الفصل الرابع والخمسون ح٦٨٤: (إنّ ﷺ كان يُصلّي وقلبه كالمرجل يغلي من خشية الله تعالى).

وروى الشيخ الصدوق في ثواب الأعمال ص١٧٦ عن الامام الصادق عليه السلام: «خف الله كأنك تراه فإنْ كنت لاتراه فإنّه يراك، وإن كنت ترى أنّه لايراك فقد كفرت، وإنْ كنت تعلم أنّه يراك ثم استترتَ من المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته في حدِّ أهون الناظرين إليك).

وروى ابن فتال في روضة الواعظين ج٢، ص٤٥١، عن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: (وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفينن، ولا أجمع له أمنين، فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة).

وروى الطبرسي في مجمع البيان ج٣، ص٥٢٦: (مرّ الحسن عليه السلام بشابٍ يضحك فقال: هل مررتَ على الصراط؟ قال: لا، قال: وهل تدري الى الجنة تصير أم الى النار؟ قال: لا، قال: فما هذا الضحك؟ قال: فماروُي هذا الضاحك بعد ضاحكاً).

وروى السيد الجليل عبدالله شبّر في الأخلاق ص٢٨٤ ط قم الشريف الرضي: (إنّ النبي ﷺ كان إذا هبّت ريحٌ عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج خوفاً من عذاب الله).

وأيضاً روى: (كان عليه السلام إذا دخل في الصلاة يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل).

(١) قال رسول الله ﷺ: «مَن كان بالله أعرف كان من الله أخوف».

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

وقال رسوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: **«أنا أخوَفُكُم مِنَ الله»**[(١)].

وروى الثعلبي بإسناده عن أبي اسحاق عن أبي جحيفة أنّه قيل: يا رسول الله قد أسرعَ إليك الشيبُ؟

قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ: **«شيّبتني هود وأخواتُها»**[(٢)].

وفي حديث آخر قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ: **«شيّبتني هودٌ والواقعةُ والمرسلاتُ وعمّ يتساءلون»**[(٣)].

وإذا كنت لم ترَ، فقد سمعت حتماً حكايات خوف الأنبياء والمقرّبين[(٤)]، وغيبوبة أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وتضرّع سيّد الساجدين ومناجاته.

---

(١) جامع السعادات ج ١، فصل الخوف المحمود، ص٢١٨ ط. قم اسماعيليان.

(٢) تفسير نوا الثقلين ج ٢، ص ٣٣٤ تفسير سورة هود.

(٣) الخصال ج ١، ص١٩٩ باب الأربعة.

(٤) عن السيد عبدالله شبر في الأخلاق ص ٢٨٥ قال: (روي إنّ داود عليه السلام كان يقول في مناجاته: (إلهي إذا ذكرتُ خطيئتي ضاقت عليّ الأرض برحبها، وإذا ذكرتُ رحمتكَ ارْتدّتْ إليّ روحي، سبحانك إلهي أتيتُ أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلّهم عليك يدلني، فبؤساً للقانطين من رحمتك).

وأيضاً كان عليه السلام يُعاتب في كثرة البكاء فيقول: (دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا، وقبل أن يُؤمر بي ملائكتة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون).

ويُحكى أنّ ابراهيم عليه السلام كان إذا ذُكر ما صدر منه يُغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل، فيأتيه جبرئيل فيقول له: الجبار يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟ فيقول: يا جبرئيل إني إذا ذكرتُ خطيئتي نسيتُ خلّتي.

الدرس الثاني:

٢ـ الرجاء

أيّها الأخ لاتيأس من رحمة الله[١]، وكن مُؤمّلاً راجياً، واعلم أنّ الدّنيا هي مزرعةُ الآخرة. وقلب ابن آدم كالأرض، والإيمان كالبَذرِ، والطاعة كـالماء الذي يجب أن يروي أرض القلب، ويطهِّر القلب من المعاصي والأخلاق الذميمة التي هي كالشوك والعود، ويوم القيامة هو موسم الحصاد.

فإنّ مَن يزرع على هذا النحو، ثم يأمُل، فإنّ رجاءه صادق. وإلاّ فلن يكون سوى الغرور والحمق.

---

(١) روى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص١٢٤ ـ الفصل الرابع ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: «أرج الله رجاءً لايجرئكَ على معصيته، وخف الله خوفاً لايؤيسك من رحمته».

وقيل للإمام الصادق عليه السلام: ما كان في وصية لقمان؟ فقال عليه السلام: كان فيها الأعاجيب وكان أعجب ما فيها إنْ قال لأبنه: خفْ اللهَ خيفةً لو جئته ببر الثقلين لعذّبك، وأرجو الله رجـاء لو جـئته بذنوب الثقلين لرحمك.

وقال نصيرالدين الطوسي في كتابه أوصاف الأشراف ص٦٧، ط. بيروت: (لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا).

وروى الكليني في الكافي ج٢، ص٥٧، ح١١، عن الحسين بن أبي سارة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لايكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولايكونُ خـائفاً راجـياً حـتى يكون عاملاً لما يخافُ ويرجُو».

وأيضاً قال عليه السلام: «إنّه ليس مِن عبدٍ مؤمن إلاّ وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء لو وُزِنَ هذا لم يزدْ على هذا، ولو وُزِنَ هذا لم يزدْ على هذا».

الدرس الثالث:

٣ـ الغيرة[١] والحمية

لاتتسامح يا أخي ولا تقصّر في المحافظة على ما يحتاج الى حارس من دينِك وعِرضك وأولادِك وأموالِك[٢].

واسعَ دوماً لردِّ بِدعة المبتدعين، وشُبهات منكري الدِّين المبين، وجدّ واجتهد في ترويج الشرع المبين، ولا تهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولاترفع سِتار مهابتك عن النساء من أهل بيتك وحرمك، واسعَ ما استطعت أن لا يرينَ الرِّجال، وامنعهنّ عمّا تحتمل منه الفساد، كاستماع الناي والموسيقى والغناء، والخروج من المنزل[٣]، ومصاحبة الغريب، وسماع القصص والحكايات التي تثير الشهوة. وارفق بهنّ ودارهنّ، وبالغ في التفحُّص بأحوالهن.

---

(١) روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ الله يغار للمؤمنين والمؤمنات فليغر المؤمن أنّه مَن لايغار فإنّه منكوس القلب.

(٢) الغيرة: هي السعي في المحافظة على الدين والنساء، والأولاد، والأموال وهي نتائج الشجاعة وكبر النفس وقوّتها: فعلى قدر الحمية تكون الشجاعة وثمرة الشجاعة الغيرة.

(٣) روى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص٢٣٩ في الفصل السادس عن اسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي الحسن الأوّل: للرجل تكون الجارية أو الجواري أو المرأة، قال: يقفل عليها الأبواب ويشدد عليهن غيرةً منه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كان إبراهيم عليه السلام غيوراً وأنا أغير منه، وجدعَ اللهُ أنف مَن لايغار من المؤمنين.

ويقول أبو يحيى المازني كنتُ جوار أمير المؤمنين عليه السلام مدةً مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فوالله ما رأيتُ لها شخصاً، ولا سمعتُ لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً والحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل. فسأله الحسن مرةً عن ذلك فقال: أخشى أنْ ينظر أحدٌ الى شخص أختك زينب. راجع زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي رحمه الله.

الدرس الرابع:

٤ـ كلمة في ذم العجلة[١]

أي بنيّ أحذر العجلة والتسرع، وتأمّل في أفعالك وأقوالك، واعلم أن كل أمرٍ يصدر عن بشرٍ دون تأمُّلٍ فإنّه يبعث على الخسران، ويؤدّي بصاحبه الى الندم[٢].

كلٌّ عجولٍ وخفيف الرأي يصغُرُ عندالآخرين، ولا وقعَ له في قلوبهم ولا اعتبار.

قال الفيلسوف سعدي:

إنّما الأعمال تأتي بالصبر والتأمُّل، وليس للمستعجل الاّ السُّقوط، رأيت بأمِّ عيني في الصحراء كيف أنّ المتأنِّي البطيء كان هو السبّاق، وكيف أنّ الحصان السريع سقط إعياءً، وكيف أنّ الجمل أكمل الطريق بتأنٍ[٣].

---

(١) العجلة: هي الإقدام على الأمور بسرعة وبأوّل خاطر يخطر على الانسان من تأنّي وتفكر في عواقبها. حتى قيل: في العجلة الندامة، وفي التأنّي السلامة.

وقال رسول الله ﷺ: العجلة من الشيطان والتأني من الله.(جامع السعادات ج١، ص٢٧٤، ط النجف).

وقال الله تعالى في سورة القيامة: ﴿كلا بل تُحبّون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ (٢٠ ـ ٢١).

وقال في سورة الإسراء: ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾(١١).

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «العجل يوجب العثار».

(٣) هذا المقطع هو ترجمة شعر للشاعر الإيراني سعدي الشيرازي. وهناك أيضاً قبال العجلة المذمومة عجلة ممدوحة بل أكّدوا عليها الأئمة عليهم السلام وهذه العجلة في فرص الخير وقضاء الحوائج وفي أعمال البر. حيث روى الكليني في الكافي ج٢، ص١١٤، ح٤، عن الامام الباقر عليه السلام: قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يُحبُّ من الخير ما يُعجَّلُ».

وروى في نفس المصدر ح٩، عن الامام الباقر عليه السلام يقول: «مَنْ همَّ بشيءٍ من الخير فليعجّلهُ فإنّ كلّ شيء فيه تأخير فإنّ للشيطان فيه نظرةً».

وروي عن الامام الصادق عليه السلام: قال: كانَ أبي يقول: «إذا هممتَ بخيرٍ فبادِرْ، فإنّكَ لاتَدري ما يُحدثُ».

الدرس الخامس:

٥ـ الغضب

لاتغضب ما استطعت، وزيِّن نفسك بزينة الحلم.

واعلم أنّ الغضب مفتاح كلِّ سوءٍ، ولعلّ شدّته تؤدِّي بصاحبها الى موت الفجأة.

وروي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «الغضب يُفسِد الايمان كما يُفسد الخلُّ العسل»[١].

ويكفيك في مذمَّة الغضب أن تتأمّل في أفعال الشخص حين غضبه[٢].

---

(١) الكافي ج٢، ص٢٢٩ الحديث ١ من باب الغضب. ط، المكتبة الاسلامية.

(٢) قيل لهارون: إنّ رجلاً من العرب طلّق خمس نسوة، فقال الرشيد: إنّما يجوز النكاح على أربع نسوة فكيف طلّق خمساً؟ فقيل له: كان لرجل أربع نسوة، فدخل عليهن يوماً فوجدهن متنازعات، فقال: إلى مت هذا التنازع؟ ما إخال هذا الأمر إلاّ من قبلك ـ يقول لإمرأةٍ منهن ـ أذهبي فأنت طالق. فقالت له صاحبتها: عجّلت عليها بالطلاق، ولو أدّبتها بغير ذلك لكنتَ حقيقاً. فقال لها: وأنت أيضاً طالق!

فقالت له الثالثة: قبحك الله! فوالله لقد كانتا إليكَ محسنتين، وعليك مفضلتين! فقال: وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق أيضاً. فقالت له الرابعة وكانت هلالية وفيها أناة شديدة: ضاق صدرك عن أنْ تؤدب نسائك إلاّ بالطلاق! فقال لها: وأنت طالق أيضاً وكان ذلك بمسمع جارةٍ له، فأشرفتْ عليه وقد سمعت كلامه، فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك الاّ بالضعف الاّ لما بلوه منكم ووجدوه منكم، أبيت إلاّ طلاق نسائك في ساعة واحدة، فقال لها: =

= وأنتِ أيتها المؤنبة المتكلّفة طالق، إن أجاز زوجك! فأجابه الزوج من داخل بيته: قد اجزتُ! قد اجزتُ! وهكذا طلّق خمس نساء.

وقال الإمام علي عليه السلام: «إياك والغضب فأوّله جنون وأخره ندم» وقال عليه السلام: «الغضب يردي صاحبه، ويُبدي معايبه».

وروى الكليني في الكافي ج ٢، ص ٢٣٠، ح ١١ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رجلٌ للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله علّمني، قال: اذهب ولاتغضب. فقال الرّجل: قد اكتفيتُ بذاك. فمضى الى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح، فلمّا رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لاتغضب» فرمى السلاح، ثم جاء يمشي الى القوم الذين هم عدوّ قومه، فقال: يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحةٍ أو قتلٍ أو ضربٍ ليس فيه أثر فعليّ في مالي أنا أو فيتموه فقال القوم: فما كان فهو لكم: نحن أولى بذلك منكم. قال: فاصطلح بالقومُ وذهب الغضب.

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص٣٢٣ ط بيروت عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الغضب مفتاح كلّ شر».

وأيضاً روى عن الباقر عليه السلام: «قال الحواريون لعيسى بن مريم: يا معلّم الخير إعلمنا أي الأشياء أشدّ، قال: أشد الأشياء غضب الله، قالوا فيمَ يُتقى غضب الله، قال: بأنْ لاتغضبوا، قالوا: وما بدؤ الغضب؟ قال: الكبر والتجبر ومحقرة الناس.

وروى الكليني رحمه الله في الكافي ج٢، ص٢٢٩ باب الغضب ح٢: عن ميسرٍ قال: (ذُكِرَ الغضبُ عند أبي جعفر عليه السلام فقال: إنّ الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخُل النّار، فأيما رجلٍ غضب على قوم وهو قائمٌ فليجلس من فوره ذلك، فإنّه سيذهب عنه رجزُ الشيطان، وأيّما رجُلٍ غَضِبَ على ذي رحم فليدنُ منه فليمسهُ، فإنّ الرحِم إذا مُسّت سكنت).

الدرس السادس:

٦ـ الحلم

الحِلم هو عبارةٌ عن التأنّي وكظم الغيظ وضبط النفس بحيث لا تحرِّك قوة الغضب الشخص بسهولةٍ، ولاتؤدِّي به مكاره الدّهر إلى الاضطراب[١].

وكظم الغيظ هو عبارة عن إخفاء الغضب وحفظه.

وكلاهما ـ الحِلم وكظم الغيظ ـ من الأخلاق الحسنة.

ويكفي الحِلم مدحاً أنّه ورد في معظم الأحاديث مقروناً بالعلم[٢]، وقيل: الحِلم مِلح الأخلاق. وكما أنّ كل طعام لايُعرف طعمه إلا بالملح، كذلك لايجمل الخُلق إلا بالحِلم. والحلم مقلوب الملح.

وقال أمير المؤمنين، علي ـ عليه السّلام ـ فيما قال: «الحِلم نور جوهرهُ العقل»[٣] «الحِلم تمام العقل»[٤] «الحِلم نظام أمر المؤمن»[٥] «الحِلم خليل المؤمن

---

(١) وقيل: الحِلم هو ضبط النفس عند هيجان الغضب فيكسر شوكة الغضب من غير ذل وهو صفة تحمل صاحبها على ترك الإنتقام ممن أغضبه مع قدرته على ذلك.

(٢) روى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص٢١٩ عن الامام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده ما جمع شيءٌ الى شيءٍ أفضل من حلمٍ إلى علم.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ص٢٨٦، ح٦٤١٢.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ص٢٨٦، ح٦٤١١، باب رابطة الحلم والعقل.

(٥) نفس المصدر.

ووزيره»[١] «جمال الرجل حِلمه»[٢] «مَن غاظك بقبح السّفه عليك فغِظهُ بحسن الحلم عنه»[٣] «إذا لم تكن حليماً، فتَحلَّم»[٤].



(١) نفس المصدر.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص٢٨٥، ح٦٣٩٢، باب فضيلة الحلم وحقيقته.

(٣) نفس المصدر: ح٦٤٠٠.

(٤) اصول الكافي: ج٢، ص٩٢، ح٦ باب (الحِلم).

وروى الكليني في الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنّه ليُعجبني الرّجُل أنْ يدركه حلمُهُ عند غضبه.

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص٢١٧، الفصل ١١ عن الامام الرضا عليه السلام قال لرجلٍ من القميين: «اتقوا الله وعليكم بالصمت والصبر والحلم فإنّه لايكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً».

الدرس السابع:

٧ـ العفو[١]

العفو صفة إلهيّة، ويذكر الله بهذه الصفة في مقام الثناء والحمد له[٢].

قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ «العفو أحقّ ما عُمِل به»» «إنّ الله يُحِبُّ العفو» «تعافوا تسقط الضغائن بينكم» «عليكم بالعفو، فإنّ العفو لا يَزيدُ العـبد إلاّ عِزّاً»[٣].

وروي عن علي بن الحسين السجّاد عليه السلام قولهُ: «وأنت الذي سمّيت نـفسك بالعفوِّ فاعفُ عنّي»[٤].

اعلم أنّ الذنب كلّ ما كان كبيراً؛ فإنّ فضيلة العفو عنه ستكون أكبر[٥].

---

(١) وهو ضد الانتقام وهو إسقاط ما يستحقه الغير من قصاص أو غرامة وأيضاً هو محو الشيء وإزالته ويقال عفا عن الذنب أي لم يُعاقب عليه.

(٢) قال تعالى في سورة النساء الآية ٤٣: ﴿إنّ الله كان عَفوّاً غفوراً﴾.

(٣) اصول الكافي ج ٢، ص٨٨، ح ٥ باب العفو.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أدلكم على خير أخلاق الدنيا والاخرة؟ تصل مَنْ قطعك، وتُعطي مَنْ حرمكَ، وتعفو عمّنْ ظلمكَ.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء السادس عشر.

(٥) روي أنّ مالكاً الاشتر (رضوان الله عليه) مارٌ في سوق الكوفة وعليه قميص خام وعمامة من خام أيضاً.. فرآه شخصٌ يغلب عليه الطيش فاحتقره لثيابه العادية هذه ورماه ببندقةِ طين =

وقال الشاعر ـ ما ترجمته نثراً ـ:

الإساءة الى المُسيء أمر سهلٌ إذا كنت رجلاً حقاً أحسن الى من أساء.



= فلم يلتفت إليه الاشتر ومضى. فقيل له: هل تعرف مَن رميتَ؟ قال: لا. قيل: هذا مالك الاشتر صاحب أمير المؤمنين عليه السلام. وقد كان حديث مالك بين الناس على كلّ شفة، فارتعد الرجل وتبع الأشتر ليعتذر إليه، فوجده قد دخل مسجداً وهو قائم يُصلّي ـ فلما فرغ من صلاته وقع الرجل على قدميه يقبلهما فقال مالك: ما هذا؟ قال أعتذر إليك مما صنعت. قال مالك: لابأس عليك فوالله ما دخلتُ المسجد الاّ لاستغفر لك.

الدرس الثامن:

٨ ـ الرفق

أخي العزيز ابتعد ما استطعت عن الغِلظة في القول والفعل، فإنّها صفة خبيثة تنفّر الرجال منك، وتخلُّ بشؤون حياتك، أما ترى أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرشد نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال له: ﴿وَلَو كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلبِ لانفضُّوا مِن حَولِكَ﴾[١].

وعكسها الرفق في القول والفعل، فإنّه محمودٌ في كلِّ الأحوال[٢].

روي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «إنّ الرفق لم يوضع على شيءٍ إلاّ زانه، ولا نزع من شيءٍ إلاّ شانه»[٣] «الرفق نصف المعيشة»[٤] «من أُعطي حظّه من الرفق أُعطي حظّه من خير الدنيا والآخرة»[٥].

وروي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «عليك بالرفق، فإنّه مفتاح الصواب وسجيّة أولي الألباب»[٦].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩. وقال تعالى: ﴿وأخفضْ جناحكَ للمؤمنين﴾ الحجر: ٨٨.

(٢) روى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص ١٨٠ عن الامام الباقر عليه السلام قال: «إنّ لكل شيءٍ قفلاً وقفل الإيمان الرفق».

(٣) مشكاة الأنوار للطبرسي ص ١٨٠، الفصل الثالث والعشرون.

(٤) اصول الكافي: ج ٢ ص٩٨، ح ١١، باب الرفق.

(٥) روى الكليني في الكافي ج ٢، ص٩٧، ح٩ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أيّما أهلُ بيتٍ أُعطوا حظّهم من الرفق فقد وسّع الله عليهم في الرّزق، والرِفق في تقدير المعيشة خيرٌ من السعة في المال، والرفق لا يعجزُ عنهُ شيءٌ والتبذيرُ لا يبقى معه شيء، إنّ الله عزّوجلّ رفيق يحبُّ الرفق.

(٦) تصنيف غرر الحكم: ص٢٤٤، ح ٤٩٦٧، باب فضيلة الرفق. وقال عليه السلام: «الرِّفقُ عنوانُ النُّبلِ».

الدرس التاسع:

٩ـ سوء الخلق

اجتنب يا أخي العزيز سوء الخُلق، فإنه يبعدك عن الخالق والمخلوق[١]، وسيِّءُ الاخلاق يعيش معذّباً دوماً[٢] فإنّه أسير عَدوّه الذي لايتركُه أينما حلّ[٣].

وقال الشاعر ما ترجمته نثراً:

إذا حاول سيء الأخلاق أن يهرب من البلاد ليستقر في الأفلاك البعيدة؛ فإنه واقع لا محالة في بلاء سوءِ خُلُقه.

أمّا الأخلاق الحسنة، فإنّها أفضل صفات الأولياء[٤].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وإنّك لَعَلى خُلُقٍ عظيم﴾[٥].

---

(١) روى الشيخ الكليني ﵀ في الكافي ج٢، ص٢٤٢ ح٢ عن الامام الصادق ﵇ قال: قال النبي ﷺ: أبى الله عزّوجلّ لصاحب الخُلق السيء بالتوبة قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: لإنّه إذا تاب مِن ذنبٍ وقعَ في ذنبٍ أعظم منهُ.

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي: ج٢، ص٢٤٢ ح٤، عن الصادق ﵇ قال: مَن ساء خُلقه عذّب نفسهُ.

(٣) وأيضاً روى الكليني في الكافي الشريف عن الامام الصادق ﵇ قال: إنّ سوء الخُلق ليُفسد الايمان كما يُفسدُ الخلُّ العسل.

(٤) روى الكليني في الكافي ج٢ ص٨١، ح٢، عن علي بن الحسين ﵇ قال: قال رسول الله ﷺ: ما يُوضعُ في ميزان امرىءٍ يوم القيامة أفضلُ من حُسن الخُلق).

(٥) سورة القلم: الآية ٤.

وقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «إنّ أحبّكُم إليّ وأقربكُم منّي يوم القيامة مجلساً أحسنُكم خُلقاً...»[١] «أشبهُكُم بي، أحسَنُكم خلقاً»[٢].

وقال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: «حُسن الخُلقِ في ثلاث: اجتنابِ المحارم، وطلبِ الحلال، والتوسُّع على العيال»[٣].



(١) اصول الكافي: ج٢ ص٨١، ح١، باب حُسن الخلق.

(٢) بحار الأنوار: ج٧١، ص٣٧٥ و٣٨٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٧١، ص٣٩٤.

الدرس العاشر:

١٠ ـ العداوة والشتم[(١)]

تناهَ أيّها الأخ العزيز عن الحقد والعداوة فإنّ ثمرتهما الندامة والآلام الدنيوية والأخروية، وآثارهما الضرب واللعن والطعن، ولا شك في خباثة هذه الصفات، وخاصة الفحش والشتم[(٢)].

روي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «إنّ اللهَ حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذِيءٍ قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنك إن فتشته لم تجده إلاّ لغية أو شرك شيطان»[(٣)].

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أيضاً قوله: «إنّ الله لايحبّ كل فاحش متفحّش» و«الجنّةُ حرامٌ على كلِّ فاحِشٍ أن يدخلها»[(٤)].

وروي عن محمد بن علي الباقر ـ عليه السّلام ـ قوله: «قُولوا للناس أحسنَ ما تُحبّون أن يُقال لكم، فإنّ الله يُبغضُ اللّعان السبّاب الطعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل المُلحِف» و «إنّ الله يحبُّ الحييِّ المتعفِّف، ويُبغض البذيّ السائل

---

(١) هو مواجهة الآخرين بكلمات قبيحة تؤذّي مَن يسمعهما.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمةُ مالهِ كحرمة دمه» الكافي ج ٢، ص٢٦٨، ح ٢.

(٣) سفينة البحار ج ٢، فحش. وقد استبدل المؤلف كلمة لغية بكلمة بغية أي ولد الزنا.

(٤) كنز العمال ح٨٠٧٨ و ٨٠٨٥.

المُلحِف»[١].

واعلم أنّ من الفحش والسبّ ما يكون عن مجرّد الغضب، ويكون أيضاً عن مجالسة الأوباش والفُسّاق وأهل الهذيان والفحّاشين، فتصبح تلك عادة جليسهم ويصبح فحّاشاً دون عداوةٍ وغضب.

ولعلك تشاهد الأراذل والأوباش يطلقون الفحش على بعضهم البعض ـ وخاصة على أمّهاتهم ومحارمهم ـ من باب المزاح[٢].

لا شك أنّ مثل هؤلاء الأشخاص بعيدون عن الآدميّة كلَّ البعد.



---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٨١ وج٧٩، ص١١١. وقال رسول الله ﷺ: «الجنّة حرام على كل فاحشٍ أنْ يدخلها».

(٢) روي أنّه كان لأبي عبدالله الصادق عليه السلام صديق لايكاد يفارقه، فقال صديقه يوماً لغلامه: يا إبن الفاعلة أين كنتَ؟ فلما سمعَ الامام الصادق عليه السلام من صديقه هذا القذف تألم كثيراً ورفع يده فصك بها جبهته ثم قال: (سبحان الله تقذف أمه وقد كنت أرى آنّ لك ورعاً، فإذا ليس لك ورع). قال صديق الامام جُعلتُ فداك أنّ أمّه سندية ـ يعني من بلاد الهند ـ فقال الامام الصادق عليه السلام: (ألا تعلم أنّ لكلِّ أمةٍ نكاحاً، تنحّ عنّي).

قال الراوي: فما رأيتُ الامام الصادق عليه السلام يمشي مع صديقه حتى فرّق بينهما الموت.

وروي إنّه سَمعَ أميرُ المؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قمبر خادم الامام عليه السلام وقد رام قمبر أنْ يرد عليه فناداه أمير المؤمنين عليه السلام وقال له عليه السلام: (مهلاً يا قمبر دعْ شاتمك مهاناً ترضي الرحمن وتسخط الشيطان وتعاقب عدوك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربّه بمثل الحلم ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه.

الدرس الحادي عشر:

١١ـ العُجْب

أيها العزيز جنّب نفسك عبادةَ النفس والعُجبَ بها[١]؛ فإنّه ذنب بذرته الكفر، وأرضه النفاق، وماؤه الفساد، وأغصانه الجهل، وأوراقه الضلالة، وثمرته اللعنة والخلد في الجحيم.

إذا أردت أن تُعجبَ بنفسك، فتأمّل في حالاتك كيف كانت بدايتك نُطفةً نجِسَةً، وآخرك جيفةً قذرة[٢]، ولست بين تلك وهذه سوى حمّال للنجاسات المتعفّنة، وجوّال بالأوساخ المتعدِّدة.

وتأمل في عظمة ذي الجلال، وإلى ذلّ نفسك وافتقارها وعجزها عن البقّ والذباب[٣]، وضعفها عن دفع الحوادث والآفات. واتخذ من هزيمة النفس شعاراً

---

(١) روى الكليني في الكافي ج٢، ص٢٣٦، ح٥، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أتى عالمٌ عابداً فقال له: كيف صلاتُك؟ فقال: مثلي يُسأل عن صلاته؟ وأنا أعبد الله مُنذ كذا وكذا، قال: فكيف بكاؤُك؟ قال: أبكي حتّى تجري دموعي، فقال له العالِمُ: فإنّ ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مُدِلٌّ، إنّ المُدلَّ لايصعدُ من عمله شيءٌ». وروي أنّ الله تعالى قال لداود عليه السلام: (ياداود بشّرِ المذنبين وأنذر الصدّيقين قال: كيف أُبشّر المذنبين وأُنذر الصدّيقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين أنّي أقبلُ التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذرْ الصّديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإنّه ليس عبدٌ أنصبُه للحساب إلاّ هَلَكَ). نفس المصدر: ح٨.

(٢) روى الطبرسي في مشكاة الانوار ص٣١٩ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لاحسب كالتواضع، ولا وحدة أوحش من العجب، وعجبتُ للمتكبّر الذي كان بالإمس نطفةً وغداً جيفة».

(٣) روي عن الامام علي عليه السلام إنّه قال: «مسكين ابنُ آدم تقتله الشرقة، وتؤلمه البقة، وتنتنه العرقة».

لك، فإنّه أفضل الأوصاف، وفوائده في الدنيا والعقبى لا حدَّ لها.

قالَ ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فإنّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ويَهدِي مَن يَشَاءُ﴾[(١)].

وروي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «.. فإنّه ليس عبدٌ يعجَب بالحسنات الاّ هَلَك»[(٢)].

وروي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «إيّاك والإعجابَ بنفسِك والثقة بما يُعجِبُك مِنها وحُبّ الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فُرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسن» و«العُجب يوجب العثار» و«ثمرة العُجب البغضاء» و«رضاك عن نفسك من فساد عقلك» و«المُعجب لاعقل له» و«العُجب عنوان الحماقة»[(٣)].



---

(١) سورة فاطر: الآية ٨. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾ والمن نتيجة استعظام العمل وهو العجب.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج٧٢، ص٣٢١.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ص٣٠٨ وبحار الأنوار: ج٧٧، ص٢٦٣. روي إنّ النبي عيسى عليه السلام كان يسيحُ في البلاد فخرجَ في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلمّا انتهى عيسى الى البحر قال:
بسم الله بصحّةٍ ويقين فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير (حين نظر الى عيسى وقد جازه): بسم الله بصحّةٍ يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى فدخله العجب بنفسه فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله عليَّ قال: فرسَّ في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه، ثم قال له ماقلتَ يا قصير؟ قال: قلتُ هذا روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجبٌ. فقال له عيسى: لقد وضعتَ نفسكَ في غير الموضع الذي وضعكَ الله فيه فمقتكَ اللهُ على ما قلتَ).

الدرس الثاني عشر:

١٢ـ التكبّر والتواضع

ابذلْ جهدكَ أن لاتتكبّر، فإنّ المتكبّرين يُحشرون يوم القيامة على هيئة صغار النمل؛ فيدوسهم جميع الناس، لأنّهم لا قيمة ولا قدر لهم عند الله[١].

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَسَجَدَ الملائكةُ كلُّهُم أجمعونَ إلاّ إبليسَ استكبرَ وكَانَ مِنَ الكافرينَ﴾[٢].

وروي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «إيّاكم والكِبر، فإنّ الكِبر يكون في الرجل وإنّ عليه العباءة»[٣].

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ قوله: «إيّاك والكِبر فإنّه أعظم الذنوب والأمُ العيوب، وهو حلية إبليس»[٤] و«شر آفات العقل الكِبر» و«أقبح الخُلق الكبر» و«احذَر الكِبر، فإنّه رأس الطغيان ومعصية

---

(١) روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي: ج ٢، ص ٢٣٥، ح ١١ باب الكبر عن محمد بن سنان، عن داود بن فرقد، عن أخيه قال: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ المتكبّرين يُجعلون في صُورِ الذرّ، يتوطأهُم الناسُ حتّى يفرغَ اللهُ من الحساب».

(٢) سورة ص: الآية ٧٣ ـ ٧٤. وقال تعالى في سورة الزمر/ ٧٢: ﴿ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين﴾.

(٣) كنز العمال: ح ٧٧٣٥.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ص ٣٠٩ ح ٨١٢٤.

الرحمٰن»[١].

وروي عن الإمام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام قوله: «من قال استغفرُ الله وأتوب إليه، فليس بمستكبرٍ ولا جبّارٍ.

إنّ المستكبر مَن يُصرُّ على الذنب الذي قد غلبه هواه فيه، وآثر دُنياه على آخرته»[٢].

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: «الكِبر أن تغمص الناس، وتسفّه الحقّ» و«يجهل الحق ويطعن على أهله»[٣].

وروي عن الصادق أيضاً قوله: «إنّ في جهنّم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر؛ شكى الى الله ـ عزّوجلّ ـ شدّة حرِّه، وسأله أن يأذن له أن يتنفّس، فتنفّس فأحرق جهنم»[٤].

إذن اسعَ ما استطعت أن تكون متواضعاً، واعلم أنّ التواضع لا ينقص من شأنك وجلالك شيئاً، بل إنّه يصل بك الى المرتبة الرفيعة.

أما التكبُّر، فإنّه من خصائص الناقصين والساقطين الساعين الى الكبر لستر نقصهم، لكنهم بكبرهم هذا يُلوِّحون بقبائحهم وبوضوح عيوبهم[٥].

---

(١) تصنيف غرر الحكم. ص٣٠٩، وقال عليه السلام: «عجبتُ لمتكبرٍ كان أمسِ نطفة وهو في غدٍ جيفةً».

وقال عليه السلام: «لا يتكبّرُ إلاّ وضيعٌ خاملٌ».

(٢) بحار الأنوار: ج٩٣، ص٢٧٧.

(٣) الكافي: ج٢، ص٢٣٤ ح٨ و٩، وبحار الأنوار: ج٧٣، ص٢١٧.

(٤) الكافي: ج٢: باب الكبر: ص٢٣٤، ح١٠. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لايدخل الجنّة مَنْ كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من كبر» راجع جامع السعادات: ج١، ص٣٤٦.

(٥) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما تكبّر الاّ وضيعٌ».

الدرس الثالث عشر:

١٣ـ القساوة

قساوة القلب هي حالة تصيب الآدمي، فلايتأثر بآلام الآخرين ومصائبهم. ومنشأ هذه القساوة هو غلبةُ القوة السبعيّة[١].

إنّ الكثير من الأفعال الذميمة كالظلم، وإيذاء الآخرين، وعدم إجابة نداء المظلومين، وعدم الأخذ بيد الفقراء والمحتاجين إنما تنتج عن قساوة القلب.

وعلاج هذا المرض في نهاية الصعوبة.

وعلى صاحب هذا المرض أنْ يواظب على فعل ما يترتّب عن القلب الرحيم، لتصبح نفسه بذلك مستعدّة لتلقّي إفاضة صفة الرّقّة من مبدأ الفيض، ولتغيب بعد ذلك عنه حالة القسوة.

أما إذا لم يعالج نفسه، فليعلم أنه خارج عن حدود الآدميّة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فبِما نَقضِهِمْ ميثاقَهمْ لَعنّاهمْ وَجَعَلنَا قلوبَهمْ قاسِيَةً﴾[٢].

وروي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله «لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله تُقسِّي القلب. إنّ أبعد الناس من الله القلب

---

(١) القساوة: هي ملكة عدم التأثر عن تألم أبناء النوع. ولاريب في كونه ناشئاً من غلبة السبعية، (جامع السعادت: ج ١، ص ٣٦٩، ط النجف).

(٢) سورة المائدة: الآية ١٣.

القاسي»[١].

وروي عن أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ أنّه قال: «ما جفّت الدموع إلاّ لقسوة القلب، وما قست القلوب إلاّ لكثرة الذنوب»[٢].

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «ثلاث يقسِّين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان»[٣].

وروي عن المسيح عيسى ابن مريم قوله «إنّ الدّابة إذا لم تُركب ولم تمتهن وتُستعمل، لتصعب ويتغيّر خلقها، وكذلك القلوب إذا لم ترقّق بذكر الموت ويتبعها دؤوب العبادة تقسو وتغلظ»[٤].

وقال سعدي الشيرازي ما ترجمته نثراً:

بنو آدم أعضاء لبعضهم البعض الآخر فإنّهم خُلِقوا من جوهر واحد إذا أصاب الدهر إحداها بوجع اضطربت له سائر الأعضاء، فأنت إذا كنت لاتغتم لمحنة الآخرين فاعلم أنّه لا يليق بك أن تُسمى في الآدميين.



(١) كنز العمال: ح ١٨٤٠ و ١٨٩٦٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٥٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٧٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٣٠٩.

الدرس الرابع عشر:

١٤ـ الشره

إيّاك أيها العزيز وعبادة البطن، فإنّ مفاسد كثيرة تترتّب عليها كالذلّة والمهانة والحمق والبلادة، بل إنّ معظم الأضرار التي ترد على الإنسان مَنشؤُها البطن[١].

ولولا جور البطن، لما وقع طيرٌ في فخ، بل لما جهّز الصياد فخّه.

واعلم أنّه كما للبطنة آفات كثيرة، فإنّ للجوع ثماراً مفيدةً كثيرةً، فإنّ الجوع ينوّر القلب، ويجلو الذّهن ويجعله متّقداً، ويبلغ به الانسان الى مصافّ اللذة الحقيقية بالمناجاة، والبهجة بالذكر والعبادة، ويذكّر بجوع يوم القيامة، ويظهر ذلّ النفس الأمّارة، وتسهل بالجوع الطاعة والعبادة، ويصبح ابن آدم خفيفَ المؤنة، ويصِحُّ بدنه، وتنأى أمراضه[٢].

إذن على عبّاد البطون أن يعالجوا أنفسهم، وأنْ لايحرموها من فوائد الجوع، وأن يتّبعوا طريقة الأنبياء وأكابر العلماء والعرفاء، فإنّه لم يبلغ أحدٌ منهم ما بلغ دون عناء الجوع.

وليختاروا بين مشاركة الملائكة بالجوع ومشاركة البهائم بالتخمة.

---

(١) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّه قال: «لاتُميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنّ القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء».

(٢) ذكر السيد عبدالله شبر في الاخلاق: ص١٥٢ (شهوة البطن) عشرة فوائد للجوع، وجامع السعادات: ج٢ ص٤ (الشره) ط. النجف فراجع.

الدرس الخامس عشر:

١٥ـ حبُّ الدنيا

احذر أيها العزيز من حبّ الدنيا الدنيّة فإنّ «حبّ الدنيا رأس كل خطيئة»(١) وطالب الدنيا فاسد عمله وهباء.

الدنيا هي عبارة عمّا للعبد حظ منه بعد موته، أي ما ينفعه بعد موته. والدنيا التي يريد العبد من طلبها تحصيل الأجر والثمرة الأخروية، فإنّها غير الدنيا المذمومة، كما أنّه يستثنى من الدنيا المذمومة المقدار الذي يستهلكه العبد للبقاء حيّاً وتأمين معاشه وعياله وحفظ ماء وجهه وجماله الضروري؛ بل إنّ مثل هذا التحصيل يعدّ من الأعمال الصالحة(٢).

واعلم أنّ الدنيا مَثَلُها كمثل ماء البحر، كلما استسقى منها الظامىء ازداد عطشاً.. حتى يموت(٣).

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٣٨، ح ١، ولكن هكذا ورد الحديث عن الامام الصادق عليه السلام: «رأس كُلِّ خطيئة حُبُّ الدُّنيا».

(٢) روى السيد عبدالله شبّر في الأخلاق: ص ٢١١ عن الامام الباقر عليه السلام: «مَنْ طلبَ الرزق في الدنيا استعفافاً عن الناس وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله عزّوجلّ ووجهه مثل القمر ليلة البدر».

(٣) اخرج الكليني في الكافي ص ٨١٠ ج ٢، ح ٢٤ واليسد عبدالله شبر في الاخلاق: ص ٢١٥ عن النبي عيسى عليه السلام أنّه قالَ: «مثل طالب الدنيا مثل شارب البحر كلّما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى تقتله».

وهي كالحيّة ظاهرُها ناعم ومنقوش وزاهٍ، وباطنها مليء بالسمّ القـاتل[١]، ومفسدها دون حدٍّ.

وكان فيما أوحى الله ـ تعالى ـ الى موسى ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «اعلم أنّ كلَّ فتنةٍ بذرها حبّ الدنيا»[٢].

وروي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله «أكبر الكبائر حبّ الدنيا» و«حبّ الدنيا أصل كل معصية وأوّل كل ذنب»[٣].

وروي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله «حبّ الدنيا رأسُ الفُتن وأصل المِحن» و«رأس الآفات الولَه بالدُّنيا» و«إنك لن تلق الله ـ سبحانه ـ بعمل أضرّ عليك من حبِّ الدنيا» و«إنّ الدُّنيا لمفسدة الدين ومسلبة اليقين»[٤].



---

(١) روى السيد عبدالله شبّر في الأخلاق: ص٢١٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام كـتب الى سـلمان: «مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها، فأعرض عما يعجبك منها لقلّة مـا يـصحبك منها، وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها، وكنْ أسر ما تكون منها أحذر ما تكون منها؛ فإنّ صاحبها كلّما اطمأنّ بها الى سرور أشخصته عنه مكروماً) والسلام.

وروى الكليني في الكافي ج٢، ص١١٠، ح٢٢ عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: إنّ في كتاب علي صلوات الله عليه: إنّما مثل الدنيا كمثل الحيّة ما ألين مسّها وفي جوفها السّـمّ النـاقعُ، يحذرها الرجلُ العاقل، ويهوىٰ إليها الصبيّ الجاهلُ.

(٢) بحار الأنوار: ج١٣، ص٣٥١.

(٣) كنز العمال: ح٦٠٧٤ وتنبيه الخواطر: ص٣٦٢.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ص١٣٩ باب الدنيا وحبّها. ط: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية.

الدرس السادس عشر:

١٦ـ الفقر

أيها الفقير لا تغتم من فقرك، فإنّ زينته للمؤمن خيرٌ من زينة اللِجام للفرس، وكلّ الناس مشتاقون للجنّة؛ والجنة مشتاقة للفقراء[١].

ويكفي الفقير تسلية لفؤاده قول السيد البشير النذير ـ صلّى الله عليه وآله ـ «الفقر فخري»[٢] و«الفقر فخري وبه أفتخر» و«اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»[٣].

وجاء في الحديث «من سعى على عياله من حلّه فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء»[٤].

وروي عن الامام الصادق ـ عليه السّلام ـ «إنّ الله ـ جلّ ثناؤه ـ ليعتذر الى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الأخ الى أخيه، فيقول: وعزّتي وجلالي ما

---

(١) روى العلامة المجلسي في البحار ج٧٢، ص٤٨، ح٥٨، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الفقراء ملوك أهل الجنة، والناس كلّهم مشتاقون الى الجنّة، والجنّة مشتاقة الى الفقراء».

(٢) جامع الأخبار للسبزواري من أعلام القرن السابع، ص٣٠٢ الفصل (٦٧)، والأخلاق للسيد عبدالله شبر: ص٢٢٠، الباب (١٢).

(٣) مشكاة الأنوار للطبرسي ص١٣٣، الفصل السادس، بحار الأنوار: ج٦٩، باب ٩٤ فضل الفقر والفقراء.

(٤) المحجة البيضاء ج٣، فضيلة الحلال ومذمة الحرام. والاخلاق للسيد عبدالله شبر ص٢١١ الباب العاشر، وجامع السعادات: ج٢، ص١٩، ط النجف.

أحوجتك في الدنيا من هوانٍ كان بك عليّ، فارفع هذا السجف لانظر الى ما عوّضتك من الدنيا، قال: فيرفع فيقول: ما ضرّني ما منعتني مع ما عوّضتني»[1].

وروي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ: «ملوك الدنيا والآخرة الفقراء الراضون»[2].



(١) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص٣٦٦، ح ٨٢٤٣، القسم الخامس، الاقتصادي، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبركم بملوك أهل الجنة؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: كلُّ ضعيفٍ مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لايؤبه به لو أقسم على الله لأبره»، راجع جامع السعادت: ج ٢، ص ٨٣، ط النجف.

الدرس السابع عشر:

١٧ـ السؤال

أخي.. ارفعْ يديك ما استطعت الى ربِّك واطلب منه حاجتاتك، ولا تُرِق ماء وجهك عند اللؤماء من أجل لقمة العيش[١].

واعلم أنّ لباس السلطان ـ وإن كان عزيزاً ـ أهون من لباسِ البائسين الخلق المهترىء الذي نكتسيه.

وطعام الأغنياء المُرفَّقين ـ وإن كان لذيذاً ـ ألذُّ منه الكسرة اليابسة التي نتناولها.

أيها العزيز لاتضطرب لقلّة الدراهم، ولاتبع دينك بدُنياك، ففي يوم الجزاء العزّة للدين لا للدينار، وبالدين الرُّقيّ لا بالدِّينار.

قال الحكماء: لو كان ماءُ الحياة يباع بماء الوجه لما اشتراه العالِم، فالموت بالمرض خيرٌ من الحياة بالذلّة.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «ليس الغني عن كثرة العروش، وإنما الغني غني النفس» وقال ﷺ لأعرابي طلب منه موعظةً: «إذا صلّيت فصلِّ صلاة مودّع، ولا تحدثن بحديثٍ تعتذر منه غداً، واجمع اليأس عما في أيدي الناس».

وقال الامام الصادق عليه السلام: «شيعتنا مَن لايسأل الناس، ولو ماتَ جوعاً».

وقال عليه السلام: «ثلاث هن فخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس، وولايته للامام من آل محمّد عليهم السلام» راجع جامع السعادات: ج٢، ص١٠٧ (الاستغناء عن الناس).

إذن على الله توكّل، واقطع طمعك في الخَلق، ولاتعتنِ بما في أيديهم[١].

قال ـ تعالى ـ: ﴿لايَسألُونَ الناسَ إلحافاً﴾[٢].

وقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «يا أبا ذرّ إيّاك والسؤال فإنّه ذُلٌّ حاضرٌ، وفقرٌ متعجّلٌ، وفيه حسابٌ طويل يوم القيامة»[٣].

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أيضاً: «يا عليّ لئن أُدخِلَ يدي في فم التنّين الى المرفق أحبّ إليّ من أن أسأل مَن لم يكن ثمّ كان»[٤].

وروي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «السؤال يُضعف لسان المتكلّم، ويكسر قلب الشجاع، ويقف الحرُّ العزيز موقف العبد الذليل، ويُذهب بهاء الوجه، ويمحق الرزق» و«التقرّب الى الله ـ تعالى ـ بمسألته وإلى الناس بتركها» و«شيعتي من لم يهرّ هرير الكلب، ولم يطمع طمع الغراب، ولم يسأل الناس ولو مات جوعاً» «المسألة مفتاح الفقر»[٥].

---

(١) روى الكليني في الكافي: ج٢، ص١١٩، ح٢، عن الصادق عليه السلام قال: «إذا أراد أحدُكم أنْ لايسأل ربّه شيئاً الاّ أعطاه فلييأس من الناس كلّهم ولايكونُ لهُ رجاءٌ الاّ عند الله، فإذا علمَ الله عزّوجلّ ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه».

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٥٩ و ٦٠.

(٤) مكارم الأخلاق: ص٤٣٣ ط. بيروت الأعلمي، وبحار الأنوار: ج٧٧، ص٥٩ و ٦٠.

(٥) وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ما من عبدٍ فتح على نفسه باباً من المسألة الاّ فتح اللهُ عليه سبعين باباً من الفقر»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما فتح رجلٌ على نفسه باب مسألة الاّ فتح الله عليه باباً من الفقر» راجع جامع الأخبار: ص٣٧٩.

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص١٨٥ عن الامام الصادق عليه السلام قال: «طلب الحوائج الى الناس استلاب للعزّة ومذهبةٌ للحياء، واليأس مما في أيدي الناس عزٌ للمؤمن في دينه والطمع هو الفقر الحاضر».

الدرس الثامن عشر:

١٨ـ الحرص[١]

أيّها العزيز ابتعد عن الحرص وانبذه، فإنّه صحراء مترامية الأطراف، أينما توجّهت فيها لاتبلغ لها حدّاً، وهو بحر لانهاية له، ولا تبلغ فيه الأعماق مهما كنتَ غوّاصاً. سيء الحظ من ابتلي بالحرص فإنّه يضلّ ثمّ يهلك وتصعب نجاته.

روي عن رسول الله محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «الحريص محرومٌ، وهو مع حرمانه مذموم في أي شيء كان، وكيف لايكون محروماً وقد فرّ من وثاق الله»[٢].

وعن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «الحرص أحرُّ من النار» و«الحرص ينقص قدر الرجل ولايزيد في رزقه» و«قَتَلَ الحرصُ راكبه» و«الحريص أسير مهانةٍ لايُفكُّ أسره» «الحريص فقير وإنْ ملك الدنيا بحذافيرها»[٣].

---

(١) قال النراقي في جامع السعادات: ج٢ ص١٠٠: الحرص، هو معنى راتب في النفس، باعث على جميع ما لايحتاج اليه ولايفيده من الأموال، من دون أن ينتهي الى حدٍ يكتفي به وهو أقوى شعب حب الدنيا وأشهر أنواعه، ولاريب في كونه ملكة مهلكة وصفة مضلة، بل بادية مظلمة الارجاء والأطراف، وهاوية غير متناهية الأعماق والأكناف، مَن وقع فيها ضلَّ وباد، ومَن سقط فيها هلكَ وما عاد.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٣، ص١٦٥.

(٣) الأخلاق والآداب الاسلامية: ص٣٨٤، ط، مكتبة الأمين قم عن غرر الحكم.

وروي عن الباقر محمد بن علي عليه السلام قوله: «مثل الحريص على الدنـيا مـثل دودة القزّ، كلّما ازدادت من القزّ على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج...»[١].

والقناعة صفة تناط اليها كل الفضائل حتّى راحة الدنيا والآخرة مـنها[٢]. فعشرةُ رجالٍ قد تجمعهم سُفرةٌ واحدة، بينما الكلبان يتصارعان على الجيفة، وهكذا الحريص يبقى جائعاً وإن مُلّك الدنيا، بينما القانع تشبعه كِسرةُ الخبز.



---

(١) الكافي ج٢: باب حب الدنيا والحرص عليها ص٣١٦، ح٧، وذيل الحديث (حتّى تـموت غمّاً) وجامع السعادات: ج١، ص٣٥٦، باب الحرص، ط، النجف.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان: الحرص، وطـول الأمـل» وقـال صلى الله عليه وآله وسلم: «منهومان لايشبعان: منهوم العلم، ومنهوم المال» راجع جامع السعادات باب الحرص.

(٢) قال النراقي في جامع السعادات: ج٢، ص١٠١: القناعة ضد الحرص، وهي مـلكة للـنفس توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال، من دون سعي وتعب في طلب الزائد عنه، وهي صفة فاضلة يتوقف عليها كسب سائر الفضائل، وعدمها يـؤدي بـالعبد الى مسـاوىء الأخلاق والرذائل.

الدرس التاسع عشر:

١٩ـ الطمع[١]

الطمع توأم الحرص، وضدّهما الاستغناء عن الناس.

وقد روي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «الطمع يُذهِب الحكمة من قلوب العلماء»[٢].

وعن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «قد عزّ مَن قنع» و«من طمع ذلّ وتعنّى» و«قليل الطمع يُسد كثير الورع» و«ما هدم الدِّين مثل البِدع، ولا أفسد الرجل مثل الطّمع»[٣].

وعن علي بن الحسين السجّاد ـ عليه السّلام ـ قوله: «رأيتُ الخيرَ كلّه قد اجتمع في قطع الطّمع عمّا في أيدي الناس»[٤].

---

(١) الطمع هو: التوقع من الناس في أموالهم وأنْ يعطوه ما عندهم ويكون ذليلاً مهيناً عندهم وهو من الرذائل المهلكة.

وروى موسى بن سلام عن سعدان عن الصادق عليه السلام قال: قلتُ له: ما الذي يُثبتُ الايمان في العبد؟ قال: الورع، والذي يُخرجه منه؟

قال: الطمع.

(٢) كنز العمال: ح٧٥٧٦.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ص٢٩٧ باب ذمّ الطمع.

(٤) الكافي: ج٢ باب الطمع ص٢٤١، حديث٣، وقال الامام الباقر عليه السلام: «بِئسَ العبدُ عبدٌ له طمعٌ يقودُهُ، وبئس العبدُ عبدٌ له رغبةٌ تذلّهُ».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «استغنِ عمَن شئت تكن نظيره، وارغبْ الى مَن شئت تكن أسيره، واحسنْ الى مَنْ شئت تكن أميره».

الدرس العشرون:

٢٠ـ البخل[1]

أيها العزيز.. احذر البخل وفرّ منه، فإنّ البخيل ذليلٌ في أعين الناس ولاقيمة له.

ويكفي في ذمّ البخل أنّ البخيل ليس له صديق في العالم، بل كلُّ الناس حتى أولاده هم أعداؤه، وأهله وعياله ينتظرون لحظة موته ليخلعوا عنهم لباس الذُّلّ، ويستبدلوه بلباسٍ جديدٍ من خير الألبسة.

قال بعض العلماء: «ذهب البخيل يخرج من التراب حينما يدخل البخيل في التراب».

لا أحد يذكر البخيل بعد موته، فكلُّ من لايُطعم خبزه في حياته لايُذكر اسمه بعد مماته.

وقال تعالى: ﴿ومَنْ يبخَلُ فإنّما يَبخَلُ عَن نَفسِهِ﴾[2].

وروي عن أفضل الرسل وأعزّهم محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «البخيل

---

(١) البخل: هو الإمساك حيثُ ينبغي البذل. وقال رسول الله ﷺ: إياكم والشح، فإنّه أهلك مَنْ كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال ﷺ: «البخلُ شجرة تنبت في النار، فلايلج النار الاّ بخيل» وللتفصيل راجع جامع السعادات ج٢ في ذم البخل.

(٢) سورة محمّد ﷺ: الآية ٣٨.

بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الناس، قريبٌ من النار» و«أقلّ الناس راحةً البخيل»[١].

وروي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «البُخل جِلباب المسكنة» و«البخيل خازنٌ لورثته» و«النّظر الى البخيل يُقسِّي القلب» و«أبخل الناس من بخل على نفسه بماله وخلّفه لورّاثه»[٢].

---

(١) جامع السعادات: ج٢، ص ١١٠ فصل ذمّ البخل، بحار الأنوار: ج٧٣، ص ٣٠٠ و٣٠٤، وقال ﷺ: «لايدخل الجنة بخيل، ولا خب، ولا خائن، ولاسيء الملكة» وقال ﷺ: «لاينبغي خصلتان في مسلم، البخل وسوء الخلق» راجع مشكاة الأنوار للطبرسي: ص٢٢٣ الفصل الرابع.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص٢٩٢، باب ذم البخل والبخيل. بحار الأنوار: ج٧٨، ص٥٣.

وروي الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص٢٣٥ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «البخلُ عار والجبن منقصة، كُنْ سمحاً ولاتكن مبذّراً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً ولاتستحي من إعطاء القليل، فإنّ الحرمان أقلُّ منه، عجبتُ للبخيل يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغنى الذي إياه طلب يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويُحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. البخلُ جامع لمساوىء العيوب وهو زمام يُقاد به الى كلِّ سوء».

قيل: استأذن رجلٌ على بعض البخلاء وقد أهدي له تين مع أوّل أوانه. فلمّا أحسّ البخيل بدخوله تناول الطبق فوضعه تحت السرير وبقيتْ يده معلّقة. ثم قال للرجل ما جاء بك هذا الوقت؟

قال: ياسيدي. مررتُ الساعة بدار فلان، فسمعتُ جاريته تقرأ لحناً ما سمعتُ قط أحسن منه. فلما علمتُ من شدة محبتك للقرآن وسماعك للألحان، حفظتُه وجئتُ لأقرأه عليك.

قال: فهاته.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، والزيتون، وطور سنين.

فقال: ويلك! أين التين؟

قال: تحت السرير.

الدرس الحادي والعشرون

٢١ـ السخاء[1]

السخاء عكس البخل، والسخاء، من معالي الأخلاق، والسخي ممدوح أهل الآفاق، ومحبوب أهل الأرض والسماء، فإنّ اسمَ حاتم الطائي على الرغم من توالي الدهور ما زال جارياً على الألسنة بالمدح والثناء.

وفضل هذه الصفة ظاهر وواضح، والمتّصف بها محبوب من الخالق والمخلوق ومستحسنهما.

ويكفي في مدح هذه الصفة أنّ الباري ـ عزّوجلّ ـ وصف نفسه بها، وكم من عطيةٍ نزلت منه ـ تعالى ـ عند سماعه نداء عبده «يا جواد يا كريم».

وروي عن خير المرسلين محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه قال: «إنّ الله يحبُّ الجواد في حقّه»[2].

---

(١) السخاء: (ضد البخل، وهو من ثمرة الزهد، كما أنّ البخل من ثمرة حبّ الدنيا، ولاريب في كون الجود والسخاء من أشرف الصفات ومعاني الأخلاق، وهو أصل من أصول النجاة، وأشهر أوصاف النبيين، وأعرف أخلاق المرسلين) جامع السعادات: ج١، ص٣٦٥، ط، النجف.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٧، ص١٣٩، وقال ﷺ: «الجنّة دار الأسخياء»، وقال الامام الصادق عليه السلام لبعض جلسائه: «ألا أخبركَ بشيءٍ تقرّب به من الله وتقرّب من الجنة وتباعد من النار؟ فقال: بلى. فقال: (عليك بالسخاء). وقال ﷺ: «السخاء شجرة تنبت في الجنّة، فلايلج الجنّة الاّ سخي».

وروي عن وصيِّه علي أمير المؤمنين قوله: «جود الفقير يُجلُّه، وبُخل الغنيّ يُذلّه» و«جود الرجل يُحبّبه الى أضداده، وبخله يُبغّضه الى أولاده» «السخاء خُلق الأنبياء» و«أشجع الناس أسخاهم» و«السخاء ثمرة العقل» و«السخاء سِتر العيوب» و«السخاء يُكسب المحبّة ويُزيّن الأخلاق»[١].

تكملةٌ لطيفة

أيها العزيز.. إنما كان المال لراحة العيش والعمر، ولم يكن العمر لجمع المال.

سُئِلَ عاقلٌ: مَن هو حسن الحظ ومن هو سيئه؟

فقال: حسن الحظ مَن أكل وزرع، وسيء الحظ من مات فأخذ ماله وانقطع ذكره.

وقد نصح موسى الكليم ـ عليه السّلام ـ قارون، فقال له: ﴿**وأحسِن كما أحسن الله إليك**﴾[٢] فلم يُصغِ لنصيحة نبيّ الله، فكانت عاقبته ﴿فَخَسَفنَا بِهِ وَبِدارِهِ الأرضَ﴾[٣].

وقال بعض العلماء: ماتَ إثنان في الحسرة: الأوّل مَلَك ولم يأكل، والآخر عَلِمَ ولم يعمل.

بعد أنْ علمت قدر فضيلة السخاء، فاعلم أنّه على نوعين من العطاء والإنفاق:

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٧٧ ط، مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية.

(٢) سورة القصص، الآية ٧٧.

(٣) سورة القصص، الآية ٨١.

الأول: الإنفاق الواجب كالخمس والزكاة ونفقة العِيال وما شابه[١].

والثاني: العطاء المستحبُّ كالصدقة والهديّة والضيافة والحقّ المعلوم وحق الحصاد، وإعطاء القرض، وإعانة المسلمين، وبناء المسجد والمدرسة، وحفر قنوات الماء، وطبع الكتب العلمية الدينية ونحو ذلك من الصدقات الجاريات والباقيات الصالحات.

ملاحظة:

الحقُّ المعلوم: من غير الزكاة، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله، يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته، وسَعة ماله، فيؤدّي الذي فرض على نفسه إن شاء في كل يوم، وإن شاء في كل جمعةٍ، وإن شاء في كل شهر[٢].

حقُّ الحصاد: هذا من الصدقة يعطى المسكين القبضة بعد القبضة ومن الجواد الحفنة (ملؤ الكف) بعد الحفنة حتى يفرغ.

ويُعطى الحارس أجراً معلوماً، ويترك من النخل معافارة وأمّ جعرور، ويترك للحارس يكون في الحائط العذق والعذقان والثلاثة لحفظه إيّاه[٣].



(١) الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص٢٣٣: (سُئِلَ أبو عبدالله عليه السلام عن حدِّ السخاء فقال: تخرج من مالك الحق الذي أوجبه الله عليك فتضعه في موضعه) وقال عليه السلام: «السخي الكريم الذي ينفق ماله في حق».

(٢) الكافي: ج٣، كتاب الزكاة، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق، ح٨ عن الصادق عليه السلام، وجامع السعادات: ج٢، ص١٥٧، ط النجف.

(٣) الكافي: ج٣، كتاب الزكاة، باب الحصاد، ح٢ عن الإمام الباقر عليه السلام.

الدرس الثاني والعشرون:

٢٢ـ اجتناب الحرام

تجنّب المالَ الحرام، فإنّه أشدّ أنواع المهلكات، وأعظم موانع الوصول الى السعادات.

وأكثرُ الناس الذين حُرموا الفيوضات إنّما حرموا بأكلهم المال الحرام.

نعم .. أين القلب الذي نشأ على لقمة الحرام من قابلياته التي تنشأ من عالم القدس؟

إذن على طالب النجاة أن يجدّ في تحصيل الحلال، وأن يعصم يده وبطنه ويعفّهما عن كلِّ طعامٍ حرامٍ كان نتاجاً للظلم والعدوان والخيانة في الأمانة والغدر والمكر والحيلة والغصب والسرقة والاحتكار والرشوة والربا وقرائنها، وأن يلبس لباس الورع والتقوى ﴿وَلِباسُ التقوى ذلك خيرٌ﴾[1].

وروي عن أعزِّ المرسلين محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «من أكل لقمةً من حرامٍ لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة» و«إنّ الله ـ عزّوجلّ ـ حرّم الجنّة جسداً غُذي بحرامٍ»[2] و«إذا وقعت اللقمة من حرام في جوف العبد لعنه كلّ ملكٍ في السماوات

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٦.

(٢) كنز العمال: ح٩٢٦١ و٩٢٦٦. وقال ﷺ: «إنّ لله ملكاً على بيت المقدس يُنادي كلّ ليلة: مَن أكل حراماً لم يُقبل منه حرف ولا عدل» أي نافلة ولافريضة» راجع جامع السعادات: ج٢، ص١٦٦ باب طلب الحلال.

والأرض» و«العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل»، و«لردُّ دانقٍ من حرام يعدل عند الله سبعين ألف حجة مبرورة»[١].

وروي عن خير الأوصياء أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «ما نهى الله ـ سبحانه ـ عن شيءٍ، إلاّ وأغنى عنه» و«بئس الطعام الحرام»[٢].



---

(١) بحار الأنوار: ج١٠٣.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص٣٥٥، ح٨١٠٣. وروي عنه عليه السلام: «الحرامُ سُحت» وقال: «بئس الكسبُ الحرامُ» وقال: «مِن الشّقاءِ احتقابُ الحرام».

الباب الثالث والعشرون:

٢٣ـ التكلّم بما لايعني

أخي.. اسعَ ما استطعت أن تُـزيِّن شـفتيك بـالسكوت[(١)]، ولا تـلوّثهما في الخوض بالباطل والكلام غير المفيد والفضول، فإنّ في ذلك مضيعةً للوقت، الوقت هو رأسمال التجارة والنجاة.

نعم يا أخي إنّ وقت التهيؤ لسفر الآخرة هو أقـصر مـن أن نـضيّعه نحـن المسافرين في جلسات الفراغ والكلام غير المفيد، فإنّ حزم الأمتعة بـعد تجـميعها أولى.

أوَلَم يصل أسماعك قول حجّة الله عليك أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ: «آهِ من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبُعد السّفر، وعظيم المورد» و«أمـا لو أُذِنَ لهـم (أهل القبور) في الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد التقوى»[(٢)].

وقال أيضاً: «الكلام كالدواء قليله ينفع، وكثيره قاتل» و«العاقل لايتكلّم إلاّ بحاجته أو حُجّته»[(٣)].

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سكوت اللسان سلامة الإنسان» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بلاء الإنسـان مـن اللسان» وقال: «لايستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» وللتفصيل راجع كتاب جامع الأخبار للسبزواري: ص٢٤٧، الفصل ٥٢.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم ٧٧ ـ ٢، ١٣٠ ـ ٣.

(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١١، ح٤٠٨١، وقـال عليه السلام: «المـرء مـخبوء تـحت =

وقال لقمان لابنه «يابنيّ إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضّةٍ، فإنّ السكوت من ذهبٍ»[١].

وقال داوود لسليمان عليهما السلام: «يابني عليك بطول الصمت إلاّ عن خير، فإنّ الندامة على طول الصمت مرّةً واحدة خيرٌ من الندامة على كثرة الكلام مرّات»[٢].

وقال الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: «لايزال العبد المؤمن يُكتَب محسناً ما دام ساكتاً، فإذا تكلّم كُتب مُحسناً أو مُسيئاً»[٣].



= لسانه، فزنْ كلامك واعرضه على العقل والمعرفة، فإنْ كان لله وفي الله فتكلّم وإنْ كان غير ذلك فالسكوت خيرٌ منه» راجع الاخلاق للسيد عبدالله شبر ص١٥٧. الباب الثالث، ط الشريف الرضي.

(١) الكافي: ج٢، ص٩٣، ح٦، وبحار الأنوار: ج٧١، ص٢٧٨ و٢٩٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٧١، ص٢٧٨ و٢٩٩، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «مَنْ لم يحسبْ كلامُه مِن عَمِله كثُرت خطاياه وحضرَ عذابُهُ».

(٣) الكافي: ج٢ ص٩٥، ح٢١، بحار الأنوار: ج٧١، ص٣٠٧، وقال الامام الباقر عليه السلام: «إنّما شيعتُنا الخرّس».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نجاةُ المؤمن في حفظ لسانِهِ» راجع الكافي: ج٢ ص٩٢، باب الصمت وحفظ اللسان.

الدرس الرابع والعشرون:

٢٤ـ الحسد[1]

أيها الأخ العزيز إياك والحسد، فإنّ الحسود يُبتلى في الدّنيا والآخرة بعذابٍ شديدٍ، ولا يخلو من غمٍّ أو ألمٍ.

ولو لاحظت جيّداً لرأيتَ أنّ الحسود في مقام العناد مع ربّ العباد، وهو يرى الله جاهلاً ـ والعياذ بالله ـ أو أنّه يرى نفسه أعلم بمصالح العباد ومفاسدهم، وكلا الاعتقادين كُفرٌ وجحود، وكلاهما بلاء للرجل الحسود.

إذن كن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإنّ ميزان الحاسد خفيف دائماً لحساب ميزان المحسود[2].

---

(١) الحسد: هو تمني زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح، فإنْ لم تردْ زوالها عنه ولكن تُريد لنفسك مثلها فهو (غبطة) ومنافسة. فإنْ لم يكن له فيها صلاح وأردتَ زوالها عنه فهو (غيرة) (راجع جامع السعادات: ج٢ ص١٩٢، باب الحسد).

(٢) روي عن الامام الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة (باب ٥١) قال: الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضرَّ بالمحسود، كأبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محلّ حقائق العهد والاصطفاء، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإنّ ميزان الحاسد أبداً خفيف بنقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم، فماذا ينفع الحسدُ الحاسد، وماذا يضرُّ المحسودَ الحسدَ، والحسدُ أصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد، وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً، ولا توبة للحاسد، لأنّه مصرٌّ عليه =

روي عن خير الخلق محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «أقلُّ الناس لذّةً الحسود»(١).

وعن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ أنّه قال: «الحسود لا يسود» و«الحسد حبس الروح» و«لله درُّ الحسد فما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله» و«مارأيت ظالماً أشبه بمظلومٍ من الحاسد»(٢).

وإنْ شئتَ اذهبْ وتأمل حال الحسود لترى أنّ اضطرابه وحسرته لايليقان بأيام الدنيا المعدودة، فهو يذهب ضحية حسد عبيد الله، وما أنْ تطرف عيناك عدة مرات حتّى ترى الحاسد والمحسود قد أكلهما الدّود تحت الثرى، وأمحى اسماهما من صفحة التاريخ(٣).

= معتقدٌ به مطبوعٌ فيه، يبدو بلا معارض به ولاسبب، والطبع لايتغير عن الأصل، وإنْ عولج». راجع جامع السعادات باب الحسد.

(١) معاني الأخبار: ص١٩٥، ح١. وروي عن الامام الصادق عليه السلام: «ليس لبخيل راحة ولا لحسود لذّة».

(٢) تصنيف غرر الحكم ص٢٩٩، في ذم الحسد. وقال عليه السلام: «الحسُود لا يبرأُ».

(٣) ينقل التاريخ أنّ الحجاج أستدعى رجلين أحدهما أناني حسود والآخر بخيل وقال لهما: ليطلب كلٌ منكما طلبه فإني أعطيه ما طلب وأعطي صاحبه ضعف طلبته فلو أنّ أحدكم طلب (١٠٠٠) دينار أعطي صاحبه (٢٠٠٠) دينار فليبدأ أحدكما بالطلب فدبّ التردد في نفسيهما الى أنْ تقدّم الأناني وقال: أطلب أنْ تفقأ عيني اليسرى، فقال الحجاج لماذا؟
فردّ الأناني الحسود لكيى تعطي صاحبي ضعف ما تعطيني فتفقأ عينيه فقال الحجاج: مارأيتُ طلبةً إلاّ هذه الطلبة، لماذا لم تطلب مالاً أو منصباً حتى تستفيد منه، فقال الأناني: واللهِ أنْ تفقأ عيني أهون عليّ من أنْ أرى صاحبي يأخذ ضعفين وأنا أخذ نصف ما أخذ.

الدرس الخامس والعشرون:

٢٥ـ تحقير الناس

احذر أيها العزيز من أنْ تحقّر أحداً من عباد الله أو تهينه، فقد رُوي عن أعظم المرسلين وأحبّهم الى ربِّ العالمين محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «لقد أُسري بي، فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى، وشافهني الى أن قال: يا محمد من أذلّ لي وليّاً، فقد أرصد لي بالمحاربة، ومن حاربني حاربته...»(١).

إذن ليس من شأن المؤمن إلاّ أنْ يُكرم كلّ الناس ويُعزّهم، وخاصة أهل العلم والفضل، وأصحاب الورع والتقوى، والشيوخ، ومن ابيضّت لحيته في الإسلام، والسلالة الجليلة من السادات العظام سلالة خير الأنام محمد وآله(٢) ـ صلّى الله عليه وآله ـ فإنّه قال: «من استذلّ مؤمناً أو مؤمنة أو حقّره لفقره أو قلّة ذات يده شهّره الله ـ تعالى ـ يوم القيامة ثم يفضحه»(٣).

وعن الصادق جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ أنّه قال: «من حقّر مسكيناً لم يزل الله له حاقراً ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إيّاه»(٤).

---

(١) سفينة البحار للقمي: ج٢، محاربة أولياء الله. وقال ﷺ: «مَن أذى مؤمناً فقد أذني ومن أذني، فقد أذى الله، ومَن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن».

(٢) روى النوري في مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٣٧٦، ح٨. عن رسول الله ﷺ: «حقّت شفاعتي لمَن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله». وقال ﷺ: «أكرموا أولادي، الصالحون لله، والطالحون لي». وقال ﷺ: «اكرموا أولادي وحسنوا أدابي». وقال ﷺ: أنه قال: «أربعة أنالهم شفيع يوم القيامة ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا، المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم عند اضطرارهم، والمحب لهم بقلبه ولسانه».

(٣) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٤٤.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٥٢.

الدرس السادس والعشرون:

٢٦ـ الظلم

أخي وعزيزي: إياك والظلم لعباد الله، فإنّ جميع طوائف العالم أجمعوا على قباحته، وتوعّد القرآن الكريم الظالمين ولعنهم[١]، وذمّت الأخبار الظالمين وهددتهم.

ورُوي أنّ ساعة ظلم وجور هي عند الله أسوأ من ستّين عاماً من الذنوب[٢].

وقال ـ عزّ من قائل: ـ ﴿والله لايُحِبُّ الظالمين﴾[٣].

وروي عن شفيع الأمّة محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «إنّه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرّته حسناته، فيجيء الرجل فيقول: يا ربِّ ظلمني هذا.

فيؤخذ من حسناته، فيُجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتّى ما يبقى له حسنةٌ، فإذا جاء من يسأله نظر الى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل،

---

(١) قال تعالى: ﴿ولاتحسبنّ الله غافلاً عمّا يعملُ الظالمونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون﴾، وقال تعالى: ﴿إنّ الله لايهدي القوم الظالمين﴾. وقال تعالى: ﴿ويوم يعضُّ الظالمُ على يديه يقول ياليتني اتخذتُ من الرسول سبيلاً﴾ وقال تعالى: ﴿فويلٌ للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾.

(٢) روى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص٣٢١، ط بيروت الأعلمي عن رسول الله ﷺ: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها، وجور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من المعاصي ستين سنة».

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٧.

فلا يزال يُستوفى منه حتى يدخل النار»[١].

وروي عن وصية أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ قوله: «من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده»[٢] و«إيّاك والظلم فإنّه أكبر المعاصي»[٣] و«الظلم يزلّ القدم ويسلب النعم ويُهلك الأمم»[٤] و«أخسركم أظلمكم»[٥].

وروي عنه ـ عليه السلام ـ أيضاً «والله لأن أبيتَ على حَسَكِ السّعدان مُسهّداً أو أُجرّ في الأغلال مُصفّداً أحبُّ إليّ من أنْ ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفسٍ يسرع الى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها»[٦].

وروي عن جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ عن آبائه ـ عليهم السلام ـ قال: «كان علي ـ عليه السلام ـ يقول: العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شركاء ثلاثة»[٧].

فتنبّه أيها العزيز واجعل سيرتك العدل، وتجنّب ظلم عباد الله[٨]، فإنّ شرف

---

(١) الاخلاق والآداب الاسلامية: ص٧٢٨، ط قم، عن النهاية: ج٢، ص٥٥.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص٤٥٦، ح١٠٤٠٢ ط: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية.

(٣) نفس المصدر: ص٤٥٧، ح١٠٤٣٨.

(٤) نفس المصدر: ص٤٥٦، ح ١٠٤١٠.

(٥) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٥، ح١٠٣٨٤، ط، مركز الابحاث والدراسات الاسلامية.

(٦) بحار الأنوار: ج٧٥، ص٣٥٩، نهج البلاغة الخطبة ٢٢٤، ص٣٤٦، تعليق صبحي الصالح..

(٧) سفينة البحار: ج٢: ظلم، وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص٣٢١ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم إنّه ظالم فقد خرج من الاسلام».

(٨) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أصبح ولا يهم بظلم أحد غفر له ما اجترم».

صفة العدل خارج عن حيز الوصف وحدِّه، ويكفيك في ذلك أن ترى رجال العدل قد ضمّهم التراب، لكن ذكرهم يملأ الآفاق، وبهم تُضرب الأمثال، ويتحسّر الناس لدولهم. بينما يمر بعدهم آلاف الحكّام الذين تطوى صفحتهم ويمحى ذكرهم بسبب ظلمهم، لأنّ الناس ينتظرون ساعة الخلاص منهم.



الدرس السابع والعشرون:

٢٧ـ قضاء حاجة المؤمن

اهتمّ يا أخي كثيراً بقضاء حوائج المسلمين، واسعَ لتحقيق ما يهمّهم. واعلم أنّ أفضلَ القربات الى الله السعي في قضاء حوائج ذوي الحاجات.

روي عن ذي الخُلق العظيم محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «مَن قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهراً»[١].

وروي عن وصيه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أنّه قال لكميل بن زياد: «يا كميل مُرْ أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويُدلجوا في حاجة مَن هو نائم، فوالذي وسع سمعه الأصوات، ما من أحدٍ أودع قلباً سروراً إلاّ وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في إنحداره حتّى يطردها عنه كما تُطرد غريبة الإبل»[٢].

وقال الإمام الصادق جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ: «من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله ـ عزّوجلّ ـ له يوم القيامة مئة ألف حاجةٍ من ذلك أوّلها الجنّة»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٤، ص٣٠٢ وجامع السعادات: ج٢ ص٢٣٠، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار، قضاها أو لم يقضها، كان خيراً له من اعتكاف شهرين».

(٢) نهج البلاغة باب قصار الحكم، رقم ٢٥٧. ص٧٠٥، ط: قم دار الأُسوة.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٤، ص٣٢٢، وجامع السعادات: ج٢، ص٢٣٠ (فصل قضاء حوائج المسلمين)، وقال الامام الصادق عليه السلام: «إنّ الله تعالى خلق خلقاً من خلقه، انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا، ليثيبهم على ذلك الجنة. فإنْ استطعت أن تكون منهم فكن».

الدرس الثامن والعشرون:

٢٨ـ إلقاء السرور في قلب المؤمن

اسعَ ما استطعتَ أن تُلقي السرورَ في قلوب المؤمنين، فإنّ ثواب ذلك لا يُحدُّ بحدٍّ،فإنّ إدخال السرور على قلب المؤمن خيرٌ من بناء بلد.

روي عن مُسرِّ المؤمنين محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «إنّ أحبَّ الأعمال الى الله إدخال السرور على المؤمنين»[1].

وقال صلّى الله عليه وآله أيضاً: «مَن سرَّ مؤمناً، فقد سرّني، ومن سرَّني فقد سرّ الله»[2].

وروي عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «والله .. لَرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أسرُّ بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلتْ إليه من صاحب الحاجة»[3].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٥١، باب إدخال السرور على المؤمنين، ح ٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٥٠، ح ١، وبحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٢٨٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٣٢٨، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مَنْ أدخل السرور على أخيه المؤمن فقد أدخل السرور علينا أهل البيت، ومَن أدخل السرور علينا أهل البيت فقد أدخل السرور على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومَن أدخل السرور على رسول الله صلى الله عليه وآله فقد سرّ الله، ومَن سرّ الله كان حقاً على الله أنْ يسره وأنْ يسكنه جنته» راجع جامع الأخبار للسبزواري: ص ٢٢٣.

الدرس التاسع والعشرون:

٢٩ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لاتتوانَ يا أخي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ التهاون في هذا الأمر يُعدّ من جملة المهلكات، وضرره عامٌّ وشاملٌ، وفساده تامٌّ[1].

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي باقر العلوم ـ عليهما السّلام ـ قوله: «أوحى اللهُ إلى شعيب النبي: إنّي معذّبٌ من قومك مئة ألفٍ، أربعين ألفاً من شِرارهم، وستين ألفاً من خِيارهم.

فقال ـ عليه السلام ـ: ياربِّ هؤلاء الأشرار؛ فما بال الأخيار؟

فأوحى الله ـ عزّوجلّ ـ إليه: داهَنوا أهلَّ المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»[2].

---

(١) وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «غايةُ الدِّين الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، وإقامته الحدود» وقال عليه السلام: «مَن نهى عن المنكر أرغمَ أُنوف الفاسقين»، وقال عليه السلام: «الأمر بالمعروف أفضلُ أعمال الخلق».

وللتفصيل راجع تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٣٢ باب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ط:

مركز الابحاث والدراسات الاسلامية).

(٢) الكافي: ج ٥، كتاب الجهاد باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومشكاة الأنوار للطبرسي: ص٥٦، الفصل الثالث عشر.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «لايزال الناس بخير ما أُمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات وسلّط بعضهم ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء».

الدرس الثلاثون:

٣٠ـ الإلفة

إلفة الناس ومصافاتهم من الأوصاف الحميدة، والأخلاق المرغوب فيها، ومن هنا كانت الأحاديث الكثيرة في فضيلة زيارة المؤمنين والسلام عليهم[١]، ومصافحتهم[٢]، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وتعزية أهل المصائب وما شابه[٣].

ومن يلاحظ الأخبار الواردة في هذا الباب يعلم مدى اهتمام الباري ـ تعالى ـ

---

(١) روى الديملي في أعلام الدين: ص٤٤٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ زار أخاه المؤمن إلى منزله، لا حاجة إليه إلاّ في الله، كُتِبَ في زوار الله، وكان حقاً على الله تعالى أن يكرمه».
وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «السلام سبعون حسنة تسعة وستون للمبتدىء وواحدة للراد».
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ من موجبات المغفرة بذل السّلام وحسن الكلام».
وقال صلى الله عليه وآله: «أفشوا السلام تسلموا».

(٢) روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «مصافحة المؤمن بألف حسنة» راجع مشكاة الأنوار: ص٢٠٢.

(٣) روى الصدوق في ثواب الأعمال: ص٣٤٤، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن عادَ مريضاً، فله بكلِّ خطوة خطاها حتى يرجع الى منزله سبعون ألف ألف حسنة، ومحا عنه سبعون ألف ألف سيئة ويُرفع له سبعون ألف ألف درجة، ويوكل به سبعون ألف ألف مَلَك يقعدون في قبره، ويستغفرون له الى يوم القيامة»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «التعزية تورث الجنة» وقال الإمام الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن عزّى مصاباً كان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر المصاب شيء».

بالألفة والمحبّة بين عباده، وما وضع من السنن الحميدة لحفظ هذه الصفة.

ولكن آه ويا للأسف فإنّ أكثر هذه السنن أضحت في هذا الزمان معطّلة ومهملة، فلم يبقَ من آثار النبوة إلاّ الرسم، ومن طريقة الشريعة سوى الاسم.

أتباع الشيطان يتعاهدون بعضهم بعضاً لتحقيق أغراضهم الفاسدة في أيام الدنيا المعدودة، فينشرون النفاق والعداوة بين العباد، ويرفسون بأقدامهم ما أمر الله به وأولاه كلّ اهتمام، لا يتزاورون إلاّ رياءً أو لتحقيق هدفٍ فاسد، ويعتبرون السلام والتحية دليل وضاعة، ويتوقّعون السلام والتحية أن تبلغهم من غيرهم دون أن يبادروا بها، ويرون المصافحة شيمة البلهاء.

وقال عزّ مَن قائل: ﴿فألّفَ بينَ قُلوبِكم فأصبحتُم بنعمتِهِ إخواناً﴾[1].

وقال مؤلّف قلوب المؤمنين محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «أقربكم منّي غداً في الموقف... أحسنكم خُلقاً وأقربكم من الناس»[2].

وروي عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ قوله: «طوبى لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله»[3].

وروي عن ابنهما صادق القول والفعل ـ عليه السلام ـ «إنّ ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا، وإن لم يظهروا التودّد بألسنتهم كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الأنهار، وإنّ بُعد ائتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا وإن أظهروا التودُّد بألسنتهم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٧، ص ١٥٠.

(٣) مشكاة الأنوار للطبرسي ص١٨١، وبحار الأنوار: ج٧٨، ص٥٦، وقال رسول الله ﷺ: «خياركم أحسنكم أخلاقاً، الذين يألفون ويؤلفون».

كبُعد البهائم من التعاطف إن طال اعتلافها على مذودٍ واحد»[١].



(١) بحار الأنوار: ج٧٤، ص٢٨١، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في تصنيف غرر الحكم ص٤١٣: «المؤمن ألفٌ مألوفٌ متعطّفٌ) وقال: «المودّةُ نسبٌ» وقال عليه السلام: «التودد الى الناس رأسُ العقل» وقال عليه السلام: «أنفع الكنوز محبة القلوب».

الدرس الواحد والثلاثون:

٣١ـ صلة الرحم

صلة الرحم والاتصال بذوي الأرحام والقربى من الطاعات الأكيدة، بل من أفضل العبادات، ويكفيك من فضل هذه الصفة أنّها تزيد في العمر والمال، وتُسهّل الحساب يوم القيامة[1].

أما قطع الرحم، فإنّه موجبٌ لعذاب الآخرة ونزول البلاء في الدنيا.

وقد دلّت الأخبار والتجارب أنّ قطع الرحم يؤدّي الى الفقر والقلق وقصر العمر[2].

---

(١) روى الكليني في الكافي: ج٢، ص١٢١، ح٣ عن الامام الرضا عليه السلام: «يكون الرجلُ يصلُ رحِمه فيكونُ قد بقي من عمره ثلاث سنين فيُصيّرها اللهُ ثلاثين سنةً ويفعل اللهُ ما يشاء».

وفي المصدر نفسه ح٤ عن الامام الباقر عليه السلام قال: «صلةُ الأرحام تُزكي الأعمال وتُنمي الأموال وتدفع البلوى وتُيسر الحِساب وتُنسىء في الأجل».

وفي المصدر نفسه ح٦، عن الامام الصادق عليه السلام قال: «صلة الأرحام تُحسّنُ الخُلق وتُسمِحُ الكفّ وتُطيّبُ النفس وتزيدُ في الرزق وتُنسىءُ في الأجل».

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «صلةُ الرحم تُزيد في العمر وتنفي الفقر»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «صِلةُ الرحم تُعمّر الديار، وتُزيد في الأعمار وإنْ كان أهلها غير أخيار».

وروى السبزواري في جامع الأخبار: ص٢٨٨، ح٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «مَن يضمن لي خصلة واحدة أضمن له أربعة: مَن يضمن لي صِلة الرحم أضمن له محبة أهله، وكثرة ماله، وبطول عمره، ودخول جنة ربه».

(٢) روي الكليني في الكافي: ج٢، ص٢٦٠، ح٧ عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أمير

ويكفي في ذمٍّ قطع الرحم أنّ الله ـ تعالى ـ لَعن قاطع الرحم في كتابه الكريم فقال: ﴿والّذين ينقضُون عَهد اللهِ من بعدِ ميثاقِه ويَقطعُونَ ما أمر اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ ويُفسِدُونَ في الأرضِ أُولئِك لهُمُ اللعنةُ ولَهم سُوءُ الدّارِ﴾[1] ﴿فهل عَسَيتُم إنْ تولّيتُمْ أن تُفسِدُوا في الأرْضِ وَتُقَطِّعوا أرحَامَكُمْ﴾[2].



= المؤمنين عليه السلام في خطبةٍ: «أعوذُ بالله من الذنوب التي تُعجّلُ الفناء، فقام اليه عبدالله بن الكواء اليشكري فقال: يا أمير المؤمنين، أوتكون ذنوبُ تُعجّلُ الفناء؟ فقال: نعم ويلك قطيعةُ الرّحم، إنّ أهل البيت يجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزُقهم الله وإنّ أهل البيت يتفرقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم اللهُ وهم أتقياء».

(١) سورة الرعد: الآية ٢٥.

(٢) سورة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: الآية ٢٢.

الدرس الثاني والثلاثون

٣٢ـ عقوق الوالدين

عقوق الوالدين هو إغضابهما وايذاؤهما وكسر خاطرهما كليهما أو أحدهما.

والعقوق من أشدِّ أنواع قطع الرحم ولاشك أنّه من الكبائر.

سيِّء الحظ مَن كان عاقاً لوالديه، فـإنّه لايـرى الخـيرَ لا في الدنـيا ولا في الآخرة، ولا ينفعه عمره، ولا ترفعه عزّته، يقصر عمره، وتضيع حياته هباءً.

تصعب عليه سكرات الموت وتشتدُّ، ويرهقه خروج روحه.

فتنبّه يا أخي وارحم نفسك، واحذر حدَّ العقوق، فإنّه قاطع.

وتذكّر معاناة والديك فيك، وهجرهما النوم من أجلك، وتربيتهما لك، وسنين رقدتك في أحضانهما تنهل منهما العطف والحنان والمحبّة، وبذلهم مهجهم دونك... حتى بلغت ما بلغت، واشتدّ عضدُك بعد أن كنت ضعيفاً مستقوياً بهم.. ماذا دهاك.. هل نسيت كلّ ذلك، أو عنه عميت، أو دونه كفرت؟

روي عن أبرّ الخلق بوالديه محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «يُقال للعاقِّ: اعمل ما شئت فإنّي لا أغفر لك»[1] و«اثنان يعجّلهما الله في الدنيا: البغي وعـقوق الوالدين» و«من أحزن والديه فقد عقّهما»[2].

---

(١) راجع روضة الواعظين: ج٢، ص٣٦٨، وذيل الرواية: (ويقال للبار: اعمل مـا شـئت فـإني سأغفر لك).

(٢) كنز العمال: ح٤٥٤٥٨ و٤٥٥٢٧ و٤٥٥٤٨.

وروي عن الصادق ـ عليه السلام ـ قوله: «من العقوق أن ينظر الرجل الى والديه فيحدّ النظر إليهما»[١] و«مَن نظر الى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة»[٢].

وروي عن الرضا علي بن موسى ـ صلوات الله عليه ـ قوله: «حرّم الله عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوفيق لطاعة الله ـ عزّوجلّ ـ والتوقير للوالدين وتجنّب كفر النعمة وإبطال الشكر، وما يدعو من ذلك الى قلّة النّسل وانقطاعه لما في العقوق من قلّة توقير الوالدين وعرفان حقّهما، وقطع الأرحام والزّهد من الوالدين في الولد، وترك التربية بعلّة ترك الولد برّهما»[٣].



(١) إليك عزيزي القاريء نصَّ الرواية التي نقلها الكليني ﵀ في الكافي ج٢، ص٢٦١، ح٧ (باب العقوق) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لو علم اللهُ شيئاً أدنى من أُفٍ لنهى عنه وهو مِن أدنى العقوق ومن العقوق...».

(٢) الكافي: ج٢، ص٢٦١، ح٥. وبحار الأنوار: ج٧٤، ص٦١.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٤، ص٧٥. وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص١٦٦ (الفصل الرابع) عن الامام الباقر عليه السلام يقول: «إنّ أبي كرّم الله وجهه نظر الى رجلٍ ومعه ابنه، والابن متكٍ على ذراع الأب قال: فما كلّمه علي بن الحسين عليه السلام مقتاً له حتى فارق الدنيا».

وروي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة كُشِف غطاء من أغطية الجنة فوجد ريحها مَن كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلاّ صنف واحد، قلتُ ومَنْ هم؟ قال: العاق لوالديه.

وللتفصيل راجع الكافي باب العقوق ج٢، وجامع السعادات: ج٢ (باب عقوق الوالدين).

الدرس الثالث والثلاثون:

٣٣ـ مراعاةُ الجار

أخي.. لاتؤذِ جيرانك، بل راع فيهم حق الجار[١]، ولاتنظر في بيوتهم لتطّلع على عوراتهم وتراقب أعمالهم، ولاتجعل ميزابك يصبّ في بيوتهم، ولا ترمِ التراب والقذارة عند باب بيوتهم، ولاتؤذهم بدخان بيتك ورائحة طعامك، وواسهم.

إيّاك أن تنام في الليل مليء البطن وهم جائعون، أو تمضي في راحة وهم في شدّةٍ وعناء من البرد والقلّة يئنّون[٢].

لاتمنع عنهم الملح والنار والماء وما شابه ذلك، وإن طلبوا منك إعارتهم بعض أغراض بيتك أعِرهم.

وراعهم في كلِّ الأمور؛ فإنّ الإحسان للجار يزيد في العمر ويعمر الديار[٣].

وقد أوصانا أهلُ بيت العصمة بالجيران خيراً في الكثير من أحاديثهم.

روي عن خير مَنْ حفظ حق الجار محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «أحسِن مجاورة مَن جاورك، تكن مؤمناً» و«حرمة الجار على الإنسان كحرمة أمّه»

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «مَن أذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنة ومأواه جهنّم وبئس المصير، ومَنْ ضيّع حقّ جاره فليس منّا» مشكاة الأنوار للطبرسي: ص٢١٥.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «ليس من المؤمنين الذي يشبع وجاره جائع الى جنبه» راجع نفس المصدر.

(٣) عن أبي عبدالله عليه السلام الصادق عليه السلام قال: «حسن الجوار زيادة في الأعمار وعمارة في الديار».

و«مازال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورِّثه»[١].

وقال جار رسول الله وجار مسجده أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ: «مَن أحسن الى جيرانه، كثر خدمه»[٢] و«الله الله في جيرانكم، فإنّه وصيّة نبيِّكم»[٣].

وقال ابنهما موسى الكاظم ـ عليه السلام ـ: «ليس حُسن الجوار كفُّ الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى»[٤].



(١) مشكاة الأنوار للطبرسي: ص٢١٣، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٣٦٨، وج٧٦، ص١٥٤. وج٧٤، ص١٥١.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣٧، ح١٠٠٠٨. وقال عليه السلام: «سَلْ عن الجار قبل الدار».

(٣) نهج البلاغة، وصيته عند وفاته.

(٤) مشكاة الأنوار للطبرسي: ص٢١٥، ولكن اخرج الحديث عن الامام الصادق عليه السلام، وبحار الأنوار: ج٧٧، ص٣٢٠.

الدرس الرابع والثلاثون:

٣٤ـ إظهار العيوب

من علامات خبث النفس ودناءة الطبع وعدم سلامة السجيّة تتبّع عورات الناس وإحصاء أخطائهم، فإنّ كلَّ ذي عيبٍ ونقصٍ يسعى الى إظهار عيوب الناس ونقائصهم.

روي عن الإنسان الكامل والمنزَّه عن العيب محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «مَن أذاع فاحشةً كان كمبتدئها، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه»[1].

وقال أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ: «تتبّع العيوب من أقبح العيوب وشر السيئات»[2] و«من بحث عن أسرار غيره، أظهر الله ـ سبحانه ـ أسراره» و«لاتفرح بسقطة غيرك، فإنّك لاتدري ما يُحدث بك الزمان»[3].

من تتبّع عيوب الناس، وشغل وقته ولسانه بذكرها، في حين أنّ عيوبه تعدّ بالآلاف، ومعاصيه سوّدته من رأسه حتى أخمص قدميه، فأغمض عينه عمّا فيه وطفق يذكر ما في غيره فهو أحمق.

---

(١) الكافي: ج٢، باب التعبير، ح٢ ص٢٦٥، ويركبه: يُبتلَى بفعل ما عيّر. وقال الامام الصادق عليه السلام: «مَنْ لقي أخاه بما يُؤنِّبهُ أنّبهُ اللهُ في الدنيا والآخرة».

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص٤٥١ ح١٠٣٧٣ وقال عليه السلام: «تتبعُ العورات من اعظم السوءات».

(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم.

تأمّل قول أمير المؤمنين وسيد الوصيين: «الأشرار يتتبّعون مساويَ الناس، ويتركون محاسنهم؛ كما يتتبّع الذباب المواضع الفاسدة» و«أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله»[١].



(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ج ٢٠، الحكمة ١١٣. نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٥.

الباب الخامس والثلاثون:

٣٥ـ حفظ السر

أخي.. إذا أردتَ حفظَ سرٍّ، فلاتطلع عليه أحداً؛ وإنْ كان صديقُك المخلص لك، فإنّ له أصدقاء كثيرين.

قالَ بعض العلماء: «كلُّ سرٍّ جاوز الاثنين شاع» أي: ما خرج عن الشفتين أو الشخصين.

روي عن أمير المؤمنين كاتم سرِّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «سرُّك أسيرك فإن أفشيته صرت أسيره»[(١)] و«كلّما كثر خزّان الأسرار كثر ضياعها»[(٢)] و«ابذل لصديقك كلَّ المودّة، ولاتبذل له كلّ الطمأنينة»[(٣)].

وروي عن جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السّلام ـ: «سرُّك من دمك، فلايجرينّ من غير أوداجك»[(٤)].



(١) تصنيف غرر الحكم: ص ٣٢٠، ح ٧٤١٦.

(٢) نفس المصدر: ح ٧٤١٨.

(٣) نفس المصدر / قال عليه السلام: «كُنْ باسراركَ بخيلاً، ولاتدع سراً أُودعته فإنّ الإذاعة خيانة» وقال: «كاتم لسرٍّ وفي أمين».

(٤) راجع الكافي: ج ٢ باب الكتمان، ص ١٧٥، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٧١.

الدرس السادس والثلاثين:

٣٦ـ النميمة

النّمّام الذي ينقل الكلام، بالقول أو بالكتابة، صراحة أو إشارة[١].

وهي من أرذل الصفات الخبيثة، وثلث عذاب القبر بسببها، بل استفاد البعض أنّ النمام ابن حرام، وذلك من قوله تعالى: ﴿همّاز مشّاءٍ بنميمٍ، منّاعٍ للخيرِ معتدٍ أثيمٍ، عُتُلٍّ بعدَ ذَلِكَ زَنيمٍ﴾[٢].

من اطلع على حقيقة هذه الصفة الخبيثة علم أنّ النّمّام أسوأ الناس حظاً وأخبثهم سريرةً.

وأسوأ أنواع النميمة السعاية، وهي النميمة عند من يخشى منه إلحاق الضرر والأذية والقتل كالسلاطين والحكّام والرؤساء.

روي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «إيّاكم وقاتل الثلاثة، فإنّه من شرار خلق الله.

قيل: يا رسول الله وما قاتل الثلاثة؟

---

(١) قال السيد الجليل عبدالله شبّر في كتابه الأخلاق ص١٦٩، ط الشريف الرضي: النمام هو من ينم قول الغير الى المقول فيه ويكشف مايكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه: أو كرّهه ثالث، سواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو الإيماء سواء كان المنقول من الأعمال أو الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً على المنقول عنه أولا. فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر وكشفه.

(٢) سورة القلم: الآية ١١ ـ ١٣.

قال: رجلٌ سلّم أخاه الى سلطانه، فقتل نفسه، وقتل أخاه، وقتل سلطانه»[١].

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أيضاً «لايدخل الجنّة نمّام»[٢] و «احذر الغيبة والنميمة، فإنّ الغيبة تُفطر والنميمة توجب عذاب القرب»[٣].



(١) كنز العمال: ح٨٨٤٦.

(٢) الأخلاق للسيد عبدالله شبّر: ص١٦٩.

(٣) الترغيب: ج٣، ص٤٩٦، بحار الأنوار: ج٧٧، ص٦٧.

وروى الكليني في الكافي: ج٢ ص٢٧٤، عن الامام الباقر عليه السلام: «محرمةٌ الجنةُ على القتاتين المشائين بالنميمةِ» ـ القتات: الذي يسمع الكلام سرّاً.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «شراركم المشاؤون بالنميمة، المفرقونَ بينَ الاحبّةِ، المبتغون للبراء المغايب».

الدرس السابع والثلاثون:

٣٧ـ الشماتة

الشماتة هي أن تقول: ما أصاب فلاناً من مصيبةٍ أو بلاءٍ إلاّ لسوءٍ فيه، وأن تفرح لما أصابه[١].

وتدل الأخبار والتجارب على أنّ صاحب الشماتة لايخرج من الدُّنيا حتى يُبتلى بما شمت به، حتّى يشمت به غيره.

روي عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «لاتُبدِ الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويُصيِّرها بك» و«من شمت بمصيبةٍ نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتّى يُفتتن»[٢].

إذن فالعاقل الذي لايأمن نفسه، فإنّه لايشمت بغيره[٣].



---

(١) قال النراقي في جامع السعادات: ج٢ ص٦٧ الشماتة: (وهو إظهار ما حدث بغيره من البلية والمصيبة إنما هو من سوء فعله وإساءته أو الغالب صدوره عن العداوة أو الحسد، وعلامته أنْ يكون مع فرحٍ ومسرة).

(٢) الكافي: ج٢، باب المشاتة: ص٣٥٩، ح١.

(٣) قال النراقي في جامع السعادات: ج٢ ص٦٨: فينبغي لكل عاقل أنْ يتأمل أولاً: إنّ الشماتة بمسلمٍ بمصيبة لاينفك في الدنيا من ابتلاءه بمثلها.

ثانياً: إنها إيذاء لأخيه المسلم، فلاينفك عن العذاب في الآخرة.

ثالثاً: إنّ نزول هذه المصيبة به لا يدلُّ على سوء حاله عند الله، بل الأرجح دلالته على حسن حاله وتقرّبه عند الله سبحانه.

الدرس الثامن والثلاثون:

٣٨ـ المراء

المِراء والجدال هما الاعتراض على كلام الآخرين، وإظهار النقص والخلل فيه للنيل من المتكلِّم، وإظهار قدرة المعترض. دون أن ينال المعترِض فائدةً أخروية[١].

والمراء من الأخلاق المذمومة.

روي عن ذي الخُلق العظيم ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله «لا يؤمن رجلٌ حتّى يحبَّ أهل بيتي، وحتّى يدع المِراء وهو مُحقٌ»[٢].

ولاشك أنّه إذا اشتدّت هذه الصفة المذمومة، فإنّها تصل بصاحبها الى حدٍّ يصبح معه كالكلب المتوحِّش الذي يبحث دوماً عمن يتصارع معه، ويترصّد المُماري أن يسمع من أحدٍ كلاماً ليجادله فيه ويتابعه ليلتذ بمرائه. خاصة إذا كان في المجلس جمعٌ من ضعفاء العقول يشجعونه على صفته الخبيثة تلك، فيقولون: فلان مجادلٌ ماهرٌ ومتكلّمٌ حاذق وناطق فريد.

ولهذا يميل المرائي غالباً إلى أن يجادل جاهلاً ليغلبه، لكنما سيء الحظ هذا يغفل عن أنّ من جادل من هو أدنى منه علماً ليعلم الآخرون أنّه عالم، جزموا بجهله.

---

(١) المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خللٍ فيه، مِن غير غرضٍ سوى تحقيره وإهانته، وإظهار تفوقه وكياسته، جامع السعادات: ج٢ ص٢٨٢.

(٢) سفينة البحار للقمي: ج٢، المراء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ألا إنّ الذين يُمارون في الساعة لفي ضلال بعيدٍ﴾[(١)].

وروي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ قوله: «إيّاكم والمِراء والخصومة فإنّهما يُمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النفاق»[(٢)] و«ثمرة المِراء الشحناء»[(٣)].

وروي عن الإمام الحسن بن علي العسكري ـ عليه السلام ـ: «لا تُمار، فيذهب بهاؤك، ولاتُمازح فيُجترأ عليك»[(٤)].



(١) سورة الشورى: الآية ١٨.

(٢) هذه الرواية أخرجها الشيخ الكليني في الكافي: ج٢ ص٢٢٧، باب المراء والخصومة: ج١، والنراقي في جامع السعادات: ج٢ ص٢٨٥.

(٣) غرر الحكم: ص٤٦٤، ح١٠٦٤٥، وبحار الأنوار: ج٧٣، ص٣٣٩. وقال عليه السلام: «سبب الشحناء كثرة المراء».

(٤) بحار الأنوار: ج٧٨، ص٣٧٠، وروي عن الامام الصادق عليه السلام: «لاتُمارين حليماً ولاسفيهاً، فإنّ الحليم يقليكَ والسفيه يُؤذيكَ».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المراء بذرُ الشرِّ».

الدرس التاسع والثلاثون:

٣٩ـ الاستهزاء

السخرية والاستهزاء: عبارة عن نقل أقوال الآخرين وأفعالهم وأوصافهم بالإشارة أو الكناية على وجهٍ يدعو المستمع للضحك، ويكون الدافع الى ذلك إما العداء أو التكبّر أو تحقير الآخرين.

وقد يكون الدافع هو مجرّد إضحاك بعض أهل الدُّنيا، والترفيه عنهم طمعاً في أوساخهم الدنيويّة.

لاشك أنّ هذا العمل مختص بالأراذل والأوباش وذليلي النفس، ولاتجد عند صاحب هذا العمل أثراً للدّين والإيمان والإنسانيّة.

الله ـ سبحانه وتعالى ـ اعتبر الاستهزاء في بعض الأحيان جهلاً فقال: ﴿قالوا أتتَّخذنا هُزُواً قال أعوذُ باللهِ أن أكونَ مِنَ الجاهِلين﴾[1].

أما الاستهزاء بآيات الله ورسله، فقد اعتبره كفراً ﴿كَذَّبوا بآياتِ اللهِ وكانوا بها يستهزؤون﴾[2] و ﴿ولقد استُهزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبلِكَ فأمليتُ للذينَ كفروا﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٧.

(٢) سورة الروم: الآية ١٠.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٢، وقال ﷺ: «إنه المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنّة، فيقال: هلم هلم! فيجيء بكربه وغمه، فإذا أتى أغلق دونه، ثم يُفتح له باب آخر، فيقال: هلم هلم! فيجيء بكربه وغمه، فإذا أتى أُغلق دونه، فما يزال كذلك، حتى يفتح له الباب، فيقال له: هلم هلم فما يأتيه».

الدرس الأربعون

٤٠ـ الإفراط في المزاح

الإفراط في المزاح مذموم، ويؤدي الى الخفّة وقلّة الوقار، وسقوط الهيبة، وحصول المذلّة، وموت القلب، والغفلة عن الآخرة، وفي كثير من الأحيان يؤدي الى وقوع العداوة، وإيذاء المؤمن واستحيائه[١].

أما المزاح الذي ليس فيه إفراط، ولا يؤدي الى المفاسد التي مرّ ذكرها ولايؤدي الى فتح الفم على وسعه؛ فإنه ممدوح.

روي عن خير رسل الله محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «لا يبلغ العبد صريح الإيمان حتّى يدع المزاح والكذب»[٢].

وروي عن وصيه أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ قوله: «ما مزح امرؤٌ مزحة الاّمجّ من عقله مجةً» و «من مزح استُخف به» و «لكلِّ شيءٍ بذرٌ، وبذر العداوة المزاح» و «أعقل الناس من غلب جدُّه هزله»[٣].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «لاتمارِ أخاكَ، ولا تمازحه» وقال ﷺ: «إني لأمزح ولا أقول إلاّ حقاً». وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لاتُكثرنَّ الضّحكَ فتذهب هيبتُك، ولا المُزاح فيُستخفَّ بك».

(٢) الترغيب: ج٣، ٥٩٤.

(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٢٢ ط، مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية.

وقال عليه السلام: «دع المزاح فإنّه لقاحُ الضغينة»، قال: «كثرةُ المزاح تُسقِط الهيبة» وقال: «مَن كَثُر مُزاحُهُ استُحمِقَ».

الدرس الواحد والأربعون:

٤١ـ الغيبة

الغيبة هي عبارة عن قول شيءٍ في غياب شخص بقصد انتقاصه والنيل منه، بحيث لو بلغه هذا القول يسيئه ولا يرضى به، كأن يقال فلان فيه نقص في بدنه، أو نسبه، أو في صفاته، وأفعاله، وأقواله، أو في ما ينسب إليه[١].

روي عن رسول الله محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «هل تدرون ما الغيبة؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: ذِكرك أخاك بما يكره.

قيل: أرأيتَ إن كان في أخي ما أقول؟

قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه»[٢].

ولا فرق في الغيبة كنايةً كانت أو صراحة، بل لعل الكناية أسوأ، ولا فرق أيضاً بين القائل والمستمع، فكلاهما بحكم المستغيب[٣].

---

(١) الغيبة: هي أنْ يذكر الغير بما يكرهه لو بلغه، سواء كان ذلك بنقصٍ في بدنه أو في أخلاقه أو في أقواله، أو في أفعاله المتعلقة بدينه أو دنياه، بل وإنْ كان بنقصٍ في ثوبه أو داره أو دابته. (جامع السعادات: ج٢، ص٢٩٣)، حيث سُئل الامام الصادق عليه السلام عن الغيبة فقال: «هو أنْ تقول لأخيكَ في دينه ما لم يفعل وتبثّ عليه أمراً قد سرّه الله عليه لم يُقم عليه فيه حدٌ».

(٢) بحار الأنوار: ج٧٢، باب ٦٦، الغيبة، جامع السعادات: ج٢، ص٢٩٣ باب الغيبة.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما عُمّر مجلسٍ بالغيبة إلاّ خرب من الدين، فنزّهوا أسماعكم من

اعلم أنّ الغيبة من أعظم المهلكات، وحرمتها أمر صرّح به الكتاب والسنّة وأجمعت عليه الأمّة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وروي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «الغيبة أشد من الزنا.

فقيل: ولِمَ ذلك يا رسولَ الله؟

قال: صاحب الزنا يتوب، فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلايتوب الله عليه، حتى يكون صاحبه الذي يحلّله»[2].

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أيضاً: «من اغتاب مسلماً أو مسلمةً لم يقبل الله ـ تعالى ـ صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلةً، إلاّ أن يغفر له صاحبه»[3].

وروي أيضاً عن الامام محمد الباقر ـ عليه السلام ـ قوله: «إذا كان يوم القيامة أقبل قومٌ على الله ـ عزّوجلّ ـ فلايجدون لأنفسهم حسنات، فيقولون: إلهنا وسيّدنا ما فعلت حسناتنا؟

فيقول الله ـ عزّوجلّ ـ: أكلتها الغيبة، إنّ الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار

= استماع الغيبة، فإنّ القائل والمستمع لها شريكان في الأثم» راجع روضة الواعظين: ج ٢، ص ٤٧٠.

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٢) علل الشرائع: ج١ ص٥٥٧، ومستدرك الوسائل: ج٩، أحكام العشرة، باب تحريم اغتياب المؤمن.

(٣) جامع الأخبار: ص٤١٢ فصل ١٠٩، والمصدر السابق، الحديث ٣٤.

الحلفاء»[١].

والأحاديث الواردة في ذمِّ هذه الصفة الخبيثة كثيرة[٢].

وعلاجها هو الرجوع الى الآيات والأخبار التي تـذمُّها[٣]، والتـفكُّر فـيها وتأمُّلها، والانتصاف للآخرين.

انظر إذا استغابك أحدٌ كيف تتأذى وتغضب، ومقتضى الشرف أن لاترضى لغيرك ما لا ترضاه لنفسك.

ثم بعد ذلك التفت الى لسانك وتأمل كلامك، واسعَ الى القضاء عـلى مـنشأ الغيبة وهو عادة الغضب أو العـداوة أو الحـقد أو الحسـد أو المـزاح أو السـخرية والاستهزاء أو التفاخر والمباهاة وما شابه ذلك.

---

(١) مستدرك الوسائل، الحديث ٤٢، والحلفاء: الحـطب وقـيل نـبات مـعروف. وروى العـلامة المجلسي في البحار: ج٧٥، ص٢٥٨، ح٥٣، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويُدفع إليه كتابه فلايرى حسناته، فيقول: إلهي، ليس هذا كتابي، فإني لا أرى فيها طاعتي، فيقال له: (إنّ ربك لايضل ولاينسى، ذهب عملك باغتياب الناس. ثمّ يؤتى بآخر ويُدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلهي، ما هذا كتابي، فإني ما عملتُ هذه الطاعات! فيقال: لانّ فلاناً اغتابك فدفعتُ حسناته إليك).

(٢) روى الصدوق في علل الشرائع عن النـبي ﷺ: «إنّ عـذاب القـبر مـن النـميمة والغـيبة والكذب» وللزيادة والاطلاع راجع الكافي: ج٢، ص٢٦٦، بـاب الغـيبة، وجـامع الاخـبار للسبزواري: ص٤١١، وجـامع السـعادات: ج٢، بـاب الغـيبة، ص٢٩٣، ومشكـاة الأنـوار للطبرسي: ص١٧٢، الفصل ١٩.

(٣) قال تعالى في سورة النور: ﴿إنّ الذين يُحبُّونَ أنْ تشيعَ الفاحشةُ في الذينَ آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة﴾ آية: ١٩.

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿لايُحبُّ اللهُ الجهرَ بالسوءِ من القول إلاّ مَن ظُلِمَ وكان اللهُ سميعاً عليماً﴾ آية: ١٤٨.

الدرس الثاني والأربعون:

٤٢ـ الكذب

الكذب صفة تجعل صاحبها ذليلاً وتذهب بماء وجهه واعتباره، وهي أصل الانفعال والخجل واسوداد الوجه في الدنيا والآخرة.

الآيات[١] والروايات الدالّة على خبث هذه الصفة كثيرة منها:

روي عن الصادق الأمين ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «المؤمن إذا كذب بغير عُذرٍ لعنه سبعون ألف ملك، وخرج من قلبه نتنٌ حتّى يبلغ العرش فيلعنه حملة العرش، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنيةً أهونها كمن يزني مع أمه»[٢].

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أيضاً قوله: «الكذب مجانب الإيمان ولا رأي لكذوبٍ»[٣].

وروي عن صهره أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ قوله: «أوصاني رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ حين زوّجني فاطمة ـ عليها السّلام ـ فقال: إيّاك والكذب، فإنّه يسوِّد الوجه، وعليك بالصدق، فإنّه مباركٌ، والكذب مشؤومٌ»[٤].

---

(١) قال تعالى: ﴿إنّما يَفترى الكذِب الذينَ لايُؤمنُون﴾، وقال: ﴿فأعقبهم نفاقاً في قُلُوبهم الى يومِ يلقونهُ بما أخلفُوا ما وعدوه وبما كانوا يكذبُون﴾.

(٢) البحار: ج٧٢، ص٣٦٣، ح٤٨، ومستدرك الوسائل: الباب ١٢٠، الحديث ١٥، وجامع السعادات: ج٢، ص٣٢٢.

(٣) المصدر نفسه، الباب ١٢٠، الحديث ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، الباب ١٢٠، الحديث ٢٢.

وروي عن أبي جعفر الباقر ـ عليهما السّلام ـ قوله: «إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ جعل للشرِّ أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشّراب، والكذب شرٌّ من الشراب»(١).

وروي عن الامام الحسن العسكري ـ عليه السّلام ـ قوله: «جُعلت الخبائث في بيت، وجعل مفتاحه الكذب»(٢).

وروي عن خاتم الأنبياء ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «أرْبا الرِّبا الكذب»(٣).

وروي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «اعتياد الكذب يُورث الفقر»(٤).

وروي عن الإمام الصادق ـ عليه السّلام ـ: «ليس لكذّابٍ مُروّةٌ»(٥).

وروي عن أعزّ المرسلين محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «كأنّ رجلاً جاءني فقال لي: قم، فقمت معه، فإذا أنا برجلين أحدهما قائم، والآخر جالس، وبيد القائم كوب من حديد يلقمه في شدق الجالس، فيجذبه حتى يبلغ كاهله، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمدّه، فإذا مدّه رجع الآخر كما كان.

فقلت للذي أقامني: ما هذا؟

فقال: هذا رجلٌ كذّاب يُعذَّب في قبره الى يوم القيامة»(٦).

إن مفاسد الكذب أكثر من أن تحصى.

---

(١) الكافي: ج ٢، ص٣٣٨، ح٣. باب الكذب، وجامع السعادات: ج ٢، ص٣٢٣.

(٢) الدرّة الباهرة: ص٤٣.

(٣) دعوات الراوندي: ص١١٨. حالات العافية والشكر.

(٤) الخصال للصدوق: ج ٢، ص٥٠٥.

(٥) بحار الأنوار: ج٦٩، ص٢٦١، ح٣٥.

(٦) جامع السعادات: ج ٢، فصل ذم الكذب ص٩٦، ط. النجف.

أما طريق الخلاص من هذه الصفة الخبيثة فيكون بالرجوع الى الآيات والروايات التي تذم الكذب والكذّاب[١]، وتأمُّلها والتيقن بأنّ الكذب يؤدي الى الهلاك الأبدي، والفضيحة، والذل، وسقوط العزّة.

ويكفي في فضيحة الكذّاب الحديث التالي:

روي عن أبي عبدالله الصادق ـ عليه السّلام ـ قوله: «إنّ مما أعان الله به على الكذّابين النسيان»[٢].

وهذا الأمر ثبت بالتجربة أيضاً حتى شاع به المثل «الكذّاب لا يتذكر» وقيل أيضاً الكذب كضربة السيف، فإنْ التأم جرحها بقيت آثاره، وهذا ما حدث لإخوة يوسف عندما كذبوا لم يعد أبوهم يصدّقهم، فقال لهم: **بل سوّلت لكمْ أنفسكمْ أمراً فصبرٌ جميلٌ﴾**[٣].

واعلم أنّ عكس الكذب الصدق، وهو من أشرف الصفات الحسنة وأفضل الأخلاق الحميدة.

قال ـ تعالى ـ **﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا اتّقوا اللهَ وكونوا معَ الصادقين﴾**[٤].

وروي عن أبي عبدالله الصادق ـ عليه السّلام ـ قوله: «لاتغترّوا بصلاتهم ولابصيامهم؛ فإنّ الرّجل ربّما لهِج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «إياكم والكذب، فإنّ الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار» وسُئِل رسول الله ﷺ: «أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل: ويكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: ويكون كذّاباً؟ قال: لا». راجع جامع الأخبار للسبزواري: ص٤١٧، الفصل الحادي عشر.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٤١، ح ١٥.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٨.

(٤) سورة التوبة: الآية ١١٩.

اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»[١].



---

(١) الكافي: ج ٢، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ٢ ص ٨٥.

وروي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «لاتنظروا الى طُول رُكوع الرّجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركهُ استوحش لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثهِ وأداء أمانتهِ».

وقال الامام الصادق عليه السلام: «كُونوا دُعاةً للناس بالخير بغير ألسنتكم، ليروا منكمُ الاجتهادَ والصدق والورع».

وقال عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ لم يبعث نبياً إلاّ بصدق الحديث وأداء الامانة الى البرِّ والفاجر».

وروى عمرو بن أبي المقدم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام ـ الباقر ـ في أوّل دخلةٍ دخلتُ عـليه: تعلّموا الصدق قبل الحديث.

الدرس الثالث والأربعون:

٤٣ـ آفات اللّسان

لايخفى عليك أنّ كثيراً من الآفات كالغيبة والبهتان والكذب والسخرية والجِدال والمِراء والمِزاح وكلام الفضول والفحش وغيرها إنما هي من آفات اللسان ومفاسده.

ويصل للإنسان من أضرار هذا العضو أكثر بكثير من غيره.

وهو خير آلةٍ يستخدمها الشيطان ليضلّ به بني الإنسان. وكل من يطلق العنان للسانه؛ فإنّ شيطانه يذهب به الى وادي الهلاك حيث الخذلان والعذاب الأليم.

روي عن أصدق الناس حديثاً محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه سُئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخُلق».

وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار؟

قال: «الأجوفان: الفمُ والفَرج»[1].

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أيضاً: «من وُقِيَ شرَّ قبقبة وذبذبة ولقلقه، فقد وُقي»[2].

والقبقبة للبطن، والذبذبة للفرج واللقلقة للسان.

وروي عن جعفر بن محمد الصادق ـ عليه السّلام ـ قوله: «ما من يوم إلاّ وكل عضو من أعضاء الجسد يكفّر اللسان يقول: نشدتك الله أن نعذّب فيك»[3].

---

(١) سنن ابن ماجه ج٢، باب ٢٩، من حديث لأبي هريرة.

(٢) المحجة البيضاء ج٥. كتاب آفات اللسان، فضيلة الصمت. والاخلاق للسيد عبدالله شبر: ص١٥٨.

(٣) الكافي: ج٢، باب الصمت وحفظ اللسان.

وفي الخبر «ما من صباح الاّ وتكلّم الأعضاء اللسان فتقول: إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[١].

نعم.. إنّ أكثر المحن الدنيويّة والمفاسد الدينيّة تنشأ من اللسان.

ودواء جميع آفات اللسان الصمت، فإنّه زينة العالِم وستر الجاهل.

روي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ درّةٌ من درر حكمته، وهي قوله: «مَن صمت نجا»[٢].

ومما نقل من وصايا لقمان لابنه «يابني إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضةٍ، فإنّ السكوت من ذهبٍ»[٣].

وروي عن باقر العلوم محمد بن علي ـ عليهما السّلام ـ قوله: «إنّما شيعتنا الخُرس»[٤].

عزيزي اصمت ما استطعت، واجعله عادتك، ولا تغفل عن فوائده، واعلم أنّ الجاهل لايسكت[٥].

---

(١) لب اللباب للقطب الراوندي.

(٢) المحجة البيضاء: ج٥، ص١٩٢، والاخلاق، عبدالله شبّر: ص١٥٨.

(٣) الكافي: ج٢، باب الصمت، ح٦ ص٩٣.

(٤) الكافي: ج٢، ص٩٢، ح٢، وبحار الأنوار: ج٦٨، باب ٧٨، ح٤٠. والاخلاق عبدالله شبر: ص١٥٨.

(٥) قال الامام الرضا عليه السلام: «من علامات الفقه الحِلم والعلم والصمتُ، إنّ الصمت بابٌ من أبواب الحكمة إنّ الصمت يكسبُ المحبة إنّه دليلٌ على كُلِّ خير».

عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «كان أبو ذر ـ رحمه الله ـ يقول: يامبتغي العِلم إنّ هذا اللسان مفتاحُ خيرٍ ومفتاحُ شرٍ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبكَ وورقِك».

راجع الكافي: ج٢، باب الصمت ص٩٢، وجامع السعادات: ج٢، ص٣٤٣، وجامع الأخبار للسبزواري: ص٢٤٧، والأخلاق عبدالله شبر: ص١٥٨.

الدرس الرابع والأربعون:

٤٤ـ حب الرياسة

حقيقة الرياسة تسخير قلوب الناس، وتملّك قلوبهم، وهـو مـن المـهلكات العظيمة.

فقد روي عن أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ قوله «ما ذئبان ضاريان في غنمٍ قد تفرّق رِعاؤها بأضرَّ في دين المسلم من الرئاسة»[١].

ولا يخفى على كلٍّ ذي شعورٍ أنّ الرئاسة تُورث المـفاسد العـظيمة، وتـنتج الخسائر الدنيوية والأخروية، فإنّ أرباب الرئاسة والجاه هم هـدف دائم لسهـام المعاندين، وهم في خوفٍ مستمرٍّ من وقوع الذل وذهاب العزّ، يعيشون في الأوهام الباطلة، بين الحاجة الى الخادم والغلام وبين المعاملات الخيالية.

طالب الرئاسة يقضي حياته في التملّق والترحيب، ويُفني عمره بالنِّفاق على هذا وذاك، لايهنىء نومه ليلاً، ولايرتاح ويطمئن في نهاره.

قال ـ عزّوجلّ ـ: ﴿تلكَ الدارُ الآخرةُ نجعلها للذينَ لايُرِيدونَ عُلوّاً فـي الأرضِ ولا فَساداً والعاقبة للمتّقين﴾[٢].

وروي عن رسول الإسلام محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «من أحبّ أن

---

(١) الكافي: ج٢ باب طلب الرئاسة. ص٢٢٥، ح١، وقال الامام لاصـادق عليه السلام: «مـلعون مَـن ترأس، ملعون مَن همّ بها، ملعون مَنْ حَدّثَ بها نفسهُ» نفس المصدر ح٤.

(٢) سورة القصص، الآية ٨٣.

يتمثّل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»[١].

وروي عن أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ قوله: «آفة العلماء حبّ الرئاسة» و «الرئاسة عطب»[٢].

وجاء في الزبور «ليست الرئاسة رئاسة الملك، إنما الرئاسة رئاسة الآخرة»[٣].



---

(١) بحار الأنوار: ج٧٧، ص ٩٠.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٣١، ح٧٦١٤، وقال الامام الصادق عليه السلام: «مَنْ طلب الرئاسة هلك» فراجع الكافي: ج٢، ص٢٢٥، باب طلب الرئاسة.

(٣) بحار الأنوار: ج١٤، ص٤٧.

الدرس الخامس والأربعون:

٤٥ـ الخمول والخفاء

الخمول والخفاء من الزهد، وهو من الصفات الحسنة للمقربين المؤمنين، ومن علامات أهل الجنّة، والله يحب صاحب هذه الصفة، بل يُثني عليه.

روي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «إنّ اليسير من الرياء شرك، وإنّ الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يُفقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، ينجون من كل غبراء مظلمة»(١).

وروي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «كثرة المعارف محنةٌ، وكثرة خلطة الناس فتنة» و «تبذّل ولا تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم، واسكت واصمت تَسْلَم، تسرّ الأبرار وتغيظ الفجّار»(٢).

وروي عن الإمام جعفر الصادق ـ عليه السّلام ـ: «إنْ قدرتم ألاّ تُعرفوا فافعلوا، وما عليك إن لم يثن عليك الناس، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً»(٣).

نعم .. أي نعمة أكبر من أن يعرف الإنسان ربّه، ويقنع بقليل من الدنيا،

---

(١) المحجة البيضاء ج٦. كتاب ذم الجاه والرياء، بيان فضيلة الخمول. وجامع السعادات: ج ٢، ص ٣٦٥، فصل حب الخمول.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٨١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١٢١.

ولا يعرفه أحد؟

إذا جنّ عليه الليل عَبَد الله ورقد في أمنٍ وراحةٍ، وإذا أقبل عليه النهار توجّه الى عمله لكسب لقمة حلال.

لهذا نرى جملةً من عظماء الدين والسلف الصالح عرفوا قدر كـنز الوحـدة، فجلسوا في زاويةٍ من النسيان، وأغلقوا باب الخوض مع الخلق، وفتحوا باب القُرب من الخالق، وزهدوا عن سماع التقدير والاحترام والجاه الدنيوي.

الشاعر سعدي الشيرازي قال: «قيل لأحد ذوي الألباب: لم نسمع بعُشّاقٍ للشمس على الرغم من حسنها الجليّ؟!

فقال: لأنّها تُرى كلّ يوم، إلاّ في الشتاء، فهي محجوبةٌ ومحبوبة».



الدرس السادس والأربعون:

٤٦ـ الرياء[١]

الرياء من الأخلاق الذميمة والمهلكات العظيمة. وقد دأب القرآن والسنة الشريفة في ذمٍّ هذه الصفة وتوعُّد المتّصف بها.

روي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «إنّ اليسير من الرياء شرك»[٢].

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أيضاً أنّه سُئِلَ: «فيمَ النجاةُ غداً؟

قال: النجاةُ في أن لاتُخادعوا الله، فيخدعكم، فإنّه مَن يخادع الله يخدعه ويخلع منه الايمان، ونفسه يخدع لو يشعر.

فقيل له: وكيف يخادع الله؟

قال: يعمل بما أمره الله، ثم يريد به غيره، فاتّقوا الله، واجتنبوا الرياء، فإنّه شرك بالله.

---

(١) الرياء: هو طلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير أو مايدلُّ عليها من الآثار. فهو من أصناف الجاه، إذ هو طلب المنزلة في القلوب بأي عملٍ اتفق (جامع السعادات: ج٢، ص٣٧٣، باب الرياء ـ ط. النجف.

وقال السيد عبدالله شبر في الأخلاق ص١٨٨: الرياء من الرؤية: وهي طلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير والسمعة.

(٢) المحجة البيضاء: ج٦. كتاب ذم الجاه والرياء، بيان فضيلة الخمول. وقال ﷺ: «إنّ أدنى الرياء الشرك».

إنّ المرائي يُدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر.. حَبِط عملك، وبطُل أجرُك، ولا خلاق لك اليوم، فاطلُب أجرَك ممّن كنت تعمل به»[١].

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أيضاً قوله: «إنّ الجنّة تكلّمت وقالت: إنّي حرامٌ على كلِّ بخيلٍ ومراءٍ»[٢].

هناك أحاديث كثيرةٌ في ذمِّ الرياء، ويكفي في الرياء خبثاً أنه يُبطل كلَّ عملٍ إذا دخل فيه[٣].

وعلى هذا الرأي أجمع الفقهاء، وقالوا: لاتقبل الأعمال معه.

قال بعض العلماء: لايظنّن بعض الجهلة أنّ شرط الاخلاص في عزاء سيد الشهداء الإمام الحسين ـ عليه السّلام ـ غير لازم، ولقلة إدراكهم يفترون بظنهم هذا على الله ورسوله، ويروْن الرياء في العزاء عليه ـ سلام الله عليه ـ أمراً جائزاً.

أو يظنّن أنّ ما ورد من الحث على التباكي إنْ لم يتيسر البكاء يعني البكاء رياءً، ويعدّون الاستثناء المفتَرض هذا من فضائله الخاصّة ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ ويعتبرون كلّ بكاءٍ على سيّد الشهداء ـ عليه السلام ـ عبادةً، عليهم أن

---

(١) تفسير العياشي: ج ١، ص٢٨٣، الحديث ٢٩٥. والخلاق: الحظ من الخير والصلاح. وجامع السعادات: ج ٢، ص٣٧٦، باب الرياء.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١، ص١٠٧، الحديث ١٣ من الباب ١١.

(٣) روى الكليني في الكافي الشريف: ج ٢ ص٢٢٢، باب الرياء عن الامام الصادق عليه السلام قال: «كلُّ رياءٍ شرك، إنّهُ مَن عمل للناس كان ثوابُهُ على الناس ومَنْ عمل لله كان ثوابُهُ على الله».
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لايقبل الله تعالى عملاً فيه مثقال ذرةٍ من رياء».
وللتفصيل راجع الكافي: ج ٢، ص٢٢٢، باب الرياء، ومشكاة الأنوار للطبرسي: ص٣١٧، وجامع السعادات: ج ٢، ص٣٧٣.

يعلموا أن الرياء في العبادة، كالقياس في الأدلّة، وكالرِّبا في المعاملات أمر غير جائز.

وكيف يُحتمل ذو الشعور أنّ الحسين ـ صلوات الله عليه ـ يرضى أن يكون سبباً لجواز المعاصي وأكبر المُوبقات أي: الرياء الذي يعدّ الشرك الأصغر[١]، في حين أنّه ـ سلام الله عليه ـ تحمّل كلَّ تلك المصائب من أجل تثبيت أساس التوحيد لذات الله المقدّسة وإعلاء كلمة الحق في إتقان مباني الدّين المبين وحفظه من بِدع المُلحدين. ما يظنّه ويدّعيه هؤلاء الجهلة ﴿إنْ هذا إلاّ اختِلاق﴾[٢].



(١) روى النراقي في جامع السعادات: ج٢، ص٣٧٥، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنّ أخوف ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله يوم القيامة للمرائين إذا جازى العباد بأعماله: إذهبوا الى الذي كنتم تراؤن لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عنهم الجزاء».

(٢) سورة صَ: الآية ٧.

الدرس السابع والأربعون:

٤٧ـ طول الأمل

روي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «وإنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل»[١].

طول الأمل هو عبارة عن الاستغراق في الآمال والتمنّيات، وتوقُّع الحياة والرفاهية في الدنيا. وهو يكون عادةً عن أمرين: الجهل والغرور، وحبُّ الدنيا[٢].

فالجاهل المغرور يعتمد على شبابه أو صحّته، ويستبعد الموت في عهد الشباب والصحة، ويغفل عن أنّ الموتَ قد حصد ما لايُحصى من الأطفال والشباب، وكثرة حصول الأمراض المفاجئة، والموت المفاجىء.

ومحبّة الدنيا الدنيّة، والأُنس باللذات الفانية، فما دام الإنسان مُبتلى بهذه المحبة وهذا الأُنس، فإنّ فراق هذين يصعب عليه، لذا فإنّه يرفض تصديق فكرة الموت، وإذا خطر الموت في ذهنه فإنّه يحاول استبدال هذه الفكرة بما يشغل ذهنه عنها.

وإذا ذكر الآخرة حيناً تصدّى له الشيطان والنفس الأمارة بوعد غرور، وهو أنّك في أوّل عمرك، لابأس أن تشغل نفسك بالعيش وتحقيق الآمال وتأمين

---

(١) نهج البلاغة، ص٩٨، الخطبة ٢٨.

(٢) روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ أشدّ ما أخافُ عليكم خصلتان: إتباع الهوى، وطول الأمل، فأما إتباع الهوى فإنّه يصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فإنّه الحب للدنيا» جامع السعادات: ج٣، ص٣٤.

الحاجيات الدنيويّة؛ فإذا كبرت تتوب وتتهيأ لآخرتك.

فإذا كبر قيل له: ما زلتَ شاباً اعمل ما شئت حتّى تهرم.

وإذا هرم قال لأعمّر هذه المزرعة، أو لأزوج أولادي، أو لأبني بيتي ثم أترك الدنيا وأنشغل بالعبادة في زاوية منه.

وكلّما انتهى من أحد مشاريعه تلك انشغل بمشروعٍ جديدٍ آخر، يمنّي النفس باليوم والغد، حتى يُفاجىء بالنداء، فيلبّي حيث لا إمهال ولا غد غافلاً عن أنّ من كان يعده غروراً بالتوبة غداً هو معه في غده، وعن أنّ الفراغ من الخيال ومن أشغال الدّنيا لا يحصل.

وإنما يفرغ عنها من يتركها دفعة واحدة.

إذن من قاربت سنُّه الأربعين ليعلم أنّ تفكيره بالدنيا غفلة وخدعة شيطانية، فقد مضت أيام اللذّة والعيش، وأتى يوم النشاط والاستعداد، في كل يوم سيمرُّ عليه سيضعف عضو من أعضائه، وهل يغفُل عن ذلك إلاّ سيء الحظ «أبناء الأربعين زرعٌ قد دنا حصاده»[١].

أما علاج طول الأمل، فهو تذكُّر الموت، فإنّ تذكُّر الموت يخرج البشر من التعلُّق بالدُّنيا، ويشبع قلبه منها[٢].

روي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «أكثروا ذِكر هادم اللذات.

---

(١) سفينة البحار: ج٢، باب العمر، والحديث لرسول الله صلّى الله عليه وآله.

(٢) قيل للإمام الباقر عليه السلام: حدثني ما أنتفع به: قال: أكثر ذكر الموت، فإنّه لم يكثر ذكره إنسان إلاّ زهد في الدنيا (الأخلاق ص٣٢٨ عبدالله شبر).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت وأفضل التفكّر ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنّة».

قيل: وما هو يا رسول الله؟

قال: الموت، فما ذكره عبدٌ على الحقيقة في سعة إلاّ ضاقت عليه الدنيا، ولا في شِدَّة إلاّ اتسعت عليه»[١].

وروي عن الامام جعفر الصادق ـ عليه السّلام ـ في حديث طويلٍ منه كلام ملك الموت «ليس في شرقها ولا في غربها أهلُ بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلاّ وأنا أتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرات».

وفي حديث مشابه آخر يقول مَلك الموت: «فالحذر الحذر، فما من أهل بيت مَدرٍ ولا شعرٍ في برٍّ ولا بحر إلاّ وأنا أتصفّحهم في كل يوم خمس مرّاتٍ عند مواقيت الصلاة حتى لأنا أعلم منهم بأنفسهم»[٢].

إذن أخي العزيز اذهب الى القبور وأنت حافٍ، ومرّ على تراب أصدقائك وتأمّل في لوحات قبورهم واعتبر وتفكّر بما يجري على بُعد ذراعين تحت أقدامك.

ثم تجرّد وتأمّل في حالك فإنّك ستغدو مثلهم عن قريبٍ، وينتهي عمرك، وتظهر علامات الموت عليك من كلِّ جانب، حتّى يتوقّف الأطباء عن علاج بدنك، وتتوقف أعضاؤك عن الحركة، ويظهر عرق الموت على جبينك، ويأتيك ملك الموت بأمر ربِّه، شئتَ أم أبيتَ يبسط الموت مخالبه في جسمك الضعيف، فيفصل بين الروح والجسد، ويُبكيكَ أهلك وأصدقاؤك وترتفع أهاتهم في مأتمك، ثم ترفع في التابوت، لينقلوك الى سجن قبرك، ثم يتركوك وحيداً في وحشة قبرك ويعودوا. عندها تأسف على أيام حياتك وصحّتك وشبابك ووقت فراغك أيام حياتك كيف أمضيتها دون زاد ليومك هذا؟ وكيف لم تتزوّد لآخرتك حيثُ لاينفع الندم؟ فقد انقطع العمل

---

(١) جامع السعادات: ج٣، فصل ذكر الموت، مقصر الأمل: ص٣٨، ط، النجف.

(٢) الكافي: ج٣، باب إخراج روح المؤمن والكافر. وجامع السعادات: ج٣، ص٤١.

وجاء وقت الحساب والحصاد.

روي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله: «خُذ بالثقة من العمل، وإيّاك والاغترار بالأمل، ولاتدخل عليك اليوم همّ غدٍ... ولو أخليت قلبك من الأمل لجددت في العمل»[١].

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ قوله لابن مسعودٍ: «قصِّر أملك، فإذا أصبحت فقل: إني لا أمسي. وإذا أمسيت فقل: إني لا أصبح. واعزم على مفارقة الدنيا، واحبب لقاء الله»[٢].

وروي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ قوله: «ما طال عبدٌ الأمل إلاّ أساء العمل»[٣] و «أما طول الأمل، فينسي الآخرة» و «مَن أيقن أنه يُفارق الأحباب، ويسكن التراب، ويواجه الحساب، ويستغني عما خلّف، ويفتقر الى ما قدّم، كان حريّاً بقصر الأمل، وطول العمل»[٤].



---

(١) بحار الأنوار: ج٧٣، ص١١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٧، ص١٠١.

(٣) الاخلاق عبدالله شبر: ص٣٢٧.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٠، ص٨٨، وج٧٢، ص١٦٦. وج٧٣، ص١٦٧، وللتفصيل راجع تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣١١ الفصل السابع في ذم الأمل، ط مركز الابحاث والدراسات الاسلامية.

الدرس الثامن والأربعون:

٤٨ـ الرضا

المراد من الرضا ترك الاعتراض على المقدّرات الإلهيّة في الباطن والظاهر، قولاً وفعلاً[١].

وصاحب هذه المرتبة دوماً في بهجة ولذّة وسرور وراحة.

لافرق عنده بين الفقر والغنى، وبين الراحة والعناء، وبين العزّة والذلة، وبين المرض والصحة والسلامة. فهو يراها جميعاً من الله، ويعشق كل أفعال الله لما ترسخ في قلبه حب الحق ـ تعالى ـ وراضٍ بكل ما يصله من معشوقه.

فالصبر والرضا هم رأس كل طاعة[٢].

قال ـ تعالى ـ في حديثٍ قدسيٍّ: «مَنْ لم يرضَ بقضائي، ولم يشكُر على نعمائي، ولم يصبِر على بلائي، فليطلب رباً سواي»[٣].

وروي عن الامام جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السّلام ـ: «عجبت للمرء المسلم لايقضي الله ـ عزّوجلّ ـ له قضاءً إلاّ كان خيراً له، وإن قُرّض بالمقاريض

---

(١) قال نصيرالدين الطوسي في أوصاف الأشراف: ص ٩٠ ـ الفصل الثاني، الرضا: هو ثمرة المحبة ومقتضى عدم الإنكار، سواء في الظاهر أو الباطن أو القلب وسواء في القول أو العمل.

(٢) روى الكليني في الكافي: ج٢، ص٤٩، ح١، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «رأسُ طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كره ولا يرضى عبدٌ عن الله فيما أحبّ أو كره إلاّ كان خيراً له فيما أحبّ أو كره».

(٣) جامع السعادات: ج٣، باب الجزع.

كان خيراً له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له»[١].

واعلم أنّ مرتبة الرضا هي من ثمرات المحبّة، وطريق تحصيلها السعي في تحصيل المحبّة الإلهيّة بدوام الذِكر والفِكر وسائر الأمور التي تقوي المحبة الإلهية[٢].

والتدبُّر في أنّ عدم الرضا ليس له نتيجة، وكذلك السخط على القضاء.

فالقضاء والقدر لن يتغيرا من أجله، ولن تتغير أوضاع مصنع الوجود لتسلية قلبه، ولن يترتّب على قلقه واضطرابه من القضاء سوى تضييع العمر وذهاب بركة الوقت.

على طالب مرتبة الرضا أن يتأمل الآيات والأخبار التي تتحدث عن رفعة وسمو مرتبة أهل البلاء[٣]، وأن يعلم أن كل عناء سيكون كنزاً، وأن بعد كل محنة راحة.

إذن عليه أن يعيش مؤملاً ثواب الله، وأن يطوي صحراء البلاء بقدم الصبر، حتى تهون عليه مصاعب هذا الطريق، كالمريض الذي يتحمّل الحِجامة والفصد بالمبضع وتناول الدواء المرّ أملاً للشفاء.

واعلم أنّ الدعاء لاينافي الرضا، فإنّنا أُمرنا بالدعاء، وقال ربُّ العالمين

---

(١) الكافي: ج٢، باب الرضا بالقضاء ح٨، ص٥١، وروي عن الامام الصادق عليه السلام قال: «إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزهوجلّ».

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص٤١ عن الصادق عليه السلام قال: «في الرضا، واليقين والهم، والحزن في الشك والسخط».

(٢) قال السيد عبدالله شبر في الأخلاق ص٢٦٧ ـ الباب الثالث: (حكي إنّ امرأةً عثرتْ فانقطع ظفرها وسال الدم فضحكت، فقيل لها: أما تألمتِ؟ فقالت: لذة الأجر أنستني الألم).

(٣) راجع الكافي: ج٢، ص١٩٦ باب شدة إبتلاء المؤمن.

﴿أدعُوني أستجبْ لكم﴾[١].

فالدعاء مفتاح السعادة، ومحقِّق الحاجات، وما قال البعض من أن الدعاء ينافي الرضا مردود لا أساس له.

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٠. وذيل الآية الكريمة: ﴿إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾.

الدرس التاسع والأربعون:

٤٩ـ الصبر(١)

الصبر هو السكينة وعدم الاضطراب عند البلايا والمصائب. وعكسه الجزع واليأس، وهما إطلاق العنان للنفس عند حلول البلاء والمصيبة والصراخ بـ آه وما شابه من نوح وتمزيق ثياب ولطم وجه، حتّى تقطيب الحاجبين والعبوس وأمثالها مما يصدر عن ضعف النفس.

وللصبر أقسام(٢) أخرى كالصبر في المعارك والحروب ويعدّ شجاعة، والصبر في حال الغضب ويعدّ حِلماً، والصبر على مشقّة الطاعة، والصبر على

(١) قال نصيرالدين الطوسي في كتابه أوصاف الأشراف: ص٦٨، الفصل الخامس: الصبر في اللغة: هو حبس النفس من الجزع في وقت وقوع المكروه، وإنما يكون ذلك بمنع باطنه من الأضطراب ولسانه من الشكوى وأعضائه من الحركات غير المعتادة.

(٢) قال نصيرالدين الطوسي في أوصاف الأشراف: الصبرُ على ثلاثة أنواع:

الأوّل: صبر العوام، وهو حبس النفس على وجه التجلّد وإظهار الثبات في التحمل لتكون حالة عند العقل وعامة الناس مرضيّةً ﴿يعلمُون ظاهراً من الحياة الدُّنيا وهم عن الآخرةِ هُم غافِلُون﴾.

والثاني: صبر الزهّاد والعباد وأهل التقوى وأرباب الحلم، لتوقع ثواب الآخرة: ﴿إنّما يُوفّى الصابرون أجرهُم بغير حساب﴾.

والثالث: صبر العارفين فإنّ لبعضهم إلتذاذاً بالمكروه لتصورهم إنّ معبودهم خصهم به من دون الناس، وصاروا ملحوظين بشريف نظره ﴿وبشّر الصابرين الّذين إذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أُولئك عليهم صلواتٌ من ربّهم ورحمةٌ وأُولئك هُمُ المهتدون﴾.

مقتضيات الشهوات وغيرها.

وفي الحقيقة فإنّ أكثر الأخلاق الفاضلة تنطوي تحت لواء الصبر.

ومرتبة الصبر من المراتب الرفيعة، وقد نسب الله ـ سبحانه ـ أكثر الخيرات للصبر، وخصّص أكثر درجات الجنّة بالصابرين[١].

القرآن الكريم تحدّث عن الصبر والصابرين في زكثر من سعبين موضع منه، وأثبت صفاتهم، وغمرهم بصلوات الله ورحمته وهدايته، وبشّرهم أنّ الله سيُوفّيهم أجورهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٢].

وقال: ﴿.. وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٣].

وقال: ﴿... قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٤].

---

(١) روى الكليني في الكافي: ج٢، ص٧٣، ح٧، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «الجنّة محفوفةٌ بالمكاره والصّبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنّة، وجهنمُ محفوفةٌ باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذاتها وشهوتها دخل النار».

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «مَن ابتُلي مِن المؤمنين ببلاءٍ فَصَبر عليه، كان له مثلُ أجرِ ألف شهيد».

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

وقال: ﴿... الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾(١).

وقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾(٢).

وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣).

وتبعاً للقرآن الكريم فإنّ الأحاديث الشريفة تحدثت عن فضائل الصبر والصابرين.

روي عن الامام جعفر الصادق ـ عليه السّلام ـ قوله: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»(٤).

أما طريق تحصيل مرتبة الصبر، فإنّه يكون بمراعاة الأمور التالية:

الأوّل: التأمل والتفكّر في الأحاديث التي تتحدّث عن فضيلة الابتلاء في الدُّنيا، وأنه في مقابل أية مصيبة يرتفع الصابر درجةً أو تُمحى عنه سيئة، وأن يستيقن أنه لا خير في مَن لايُبتلى.

الثاني: أن يتذكّر أنّ زمان المصيبة قصير وقليل، وأنّه سيرفع عنه عما قريب.

الثالث: أن ينظر الى الجزوع الذي لاصبر له، ويرى هل استفاد شيئاً من جزعه، أو أنّه بلغه ما كان مقدراً له؛ صبر عليه أم جزع؟

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

(٣) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٤) الكافي: ج ٢، باب الصبر، ح ٢، ص ٧١، وقال الصادق عليه السلام: «الصبر رأسُ الأيمان».

وما كان مقدراً له لايتغيّر وبالجزع والاضطراب وشق الثياب، بل أنّ الجزع يُذهب ثوابه ويضيعه، ويسقط وقاره.

الرابع: أن يتأمّل حال من ابتُلِي ببلاءٍ أعظم من بلائه.

الخامس: أن يعلم أنّ الابتلاء والمصائب هي دليل الفضل والسعادة، فإنه الإنسان كلما كان مقرّباً من الله أكثر كان ابتلاؤه الأكثر «ما كان عبدٌ على الله إلاّ ازداد عليه البلاء»[(١)].

السادس: أنّ الآدمي يتكامل برياضة المصائب.

السابع: أن يتذكّر أن هذه المصيبة إنما أتته من الله ـ تعالى ـ الذي هو أحب الموجودات إليه، ذلك الذي لايريد سوى خيره وصلاحه.

الثامن: أن يتتبّع ويتفحّص في أحوال المقربين، وبلائهم وصبرهم عليه، الى أن تحصل عنده رغبة الصبر واستعداد النفس[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٦، ص٢٨ والحديث لرسول الله ﷺ.

(٢) روى نصير الدين الطوسي في أوصاف الأشراف ص٦٩: «إنّ جابر بن عبدالله الأنصاري الذي كان من كبار الصحابة، ابتلى في آخر عمره بضعف الهرم والعجز فزاره الامام ـ محمد بن علي الباقر عليه السلام، فسأله عن حاله فقال: أنا في حالةٍ أحبُّ فيها الشيخوخة على الشباب، والمرض على الصحّة، والموت على الحياة، فقال الباقر عليه السلام: أما أنا، فإن جعلني اللهُ شيخاً أحبُّ الشيخوخة، وإن جعلني اللهُ شاباً أحبُّ الشيبوبة، وإنْ أمرضني أحبُّ المرض، وإنْ شفاني أحبهُ الشّفا والصحّة، وإنْ أماتني أحبُّ الموت، وإنْ أبقاني أحبُّ البقاء، فلما سمع جابر هذا الكلام منه قبّل وجهه وقال: صدق رسول الله ﷺ فإنه قال لي: «إنك ستدرك ولداً من أولادي اسمه اسمي يبقر العلم بقراً كما يبقر الثور الأرض».

فقال الطوسي رحمه الله: يُعلم من معرفة هذه المراتب أنّ جابراً رحمه الله، كان في مرتبة الصبر، ومحمّد الباقر عليه السلام كان في مرتبة الرضا.

واعلم أنّ المراد من الصبر هو ما ذكرته لك في بداية هـذا المـوضوع، أمـا احتراق القلب وانسكاب الدموع؛ فإنه من المقتضيات البشرية للعبد وأنّه لايخرج العبد عن حدّ الصبر، فالمريض رغم رضاه بالحجامة والفصد والدواء؛ لكنّه يـتأثّر بالألم.



الدرس الخمسون:

٥٠ـ الشكر

شكر النعمة عبارة عن معرفة النعمة النازلة من المُنعم، والفرح بها، واستهلاكها في المجال الذي يرضاه المنعم[١].

والشكر أفضل منازل أهل السعادة، وسبب في رفع البلاء، وباعث على زيادة النعم.

ولذا أمرنا به ورغّبنا عليه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿.. لئنْ شكرتمْ لأزيدنّكُم ولَئِنْ كَفرتُمْ إنَّ عذابي لَشَدِيدٌ﴾[٢].

يُستفاد من هذه الآية الشريفة ومن الأخبار المعتبرة أنّ كفران النعمة الذي هو عكس الشكر يؤدي إلى شقاء الإنسان في الآخرة، ويؤدي الى الحرمان وسلب النعمة في الدنيا.

قال الفيلسوف سعدي «إنّ أجلّ الكائنات شكلاً وظاهراً الإنسان، وأذلّها الكلب، واتفق العلماء على تفضيل الكلب الوفي على البشر الكافر بالنعم».

الكلبُ لاينسى أبداً لقمتك   وإنْ ضربته بمائة حجر

---

(١) قال نصيرالدين الطوسي ﷺ في أوصاف الأشراف: ص ٧٠، الفصل السادس: الشكر في اللغة: (هو الثناء على المنعم، ليوازي نعمه).

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.

وإنْ أنتَ أكـرمتَ السـافلَ عـمراً　　　فإنّه لن يكافيك بأقلَّ من الحرب(١)

وبما أن معنى الشكر هو استهلاك النعم فيما يرضاه المنعم، كان من اللازم على العبد أنّ يعرف ما فيه رضا الله ـ سبحانه ـ وأن يعرف ما يكرهه الله ولا يرضاه، ليتمكن من أداء الشكر وترك الكفران.

أما الطريق الذي بإتّباعه يتمكن العبد من تحصيل جميع ما يحبه الله وما يكرهه، وهو الشرع المقدَّس، فإنّ فيه بياناً لكل ما يرضاه الله، ولكل ما يسخطه، وقد عبّر عما يرضاه الله بالواجبات والمستحبّات، وعما يسخط الله بالمحرّمات والمكروهات.

إذن فمن لم يكن مطّلعاً على جميع أحكام الشريعة المطهّرة، ولم يكن يُطبّقها في جميع أعماله، فإنّه لن يتمكّن من أداء الشكر لله كما ينبغي.

واعلم أنّ شكر الله يتحقق بأمورٍ وهي:

الأول: أن ينظر إلى من هم دونه في الإمكانات الدنيوية، والى من هم أعلى منه بالأمور الدينية.

الثاني: لينظر الى الأموات، ويتذكّر أنّ نهاية مايرغبون فيه العودة الى الدنيا لعمل الخير: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً﴾(٢) ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيما تَرَكْتُ﴾(٣).

---

(١) تعريب لأبيات شعر فارسية. وعلى هذا الغرار قال المتنبي:

إنْ أنتَ أكـرمتَ الكـريمَ مـلكته　　　وإنْ أكـرمتَ اللـئيمَ تـمردا

(٢) سورة السجدة: الآية ١٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان ٩٩ ـ ١٠٠.

فليفترض الإنسان نفسه منهم، ويتصوّر أنّه أُعيد الى الدنيا الآن، ويستغل فرصة بقائه.

الثالث: أن يتذكّر ما مرّ عليه من مصائب عظيمة وأمراضٍ مُهلكةٍ، وكيف أنّه لم يكن يرى نجاةً منها، ثم ليغتنم خلاصهُ منها، فإنّه كان من الممكن أن تكون كلٌّ منها سبباً في موته، ويعتبر بقاءه حياة جديدة وفرصة أخرى للعمل.

الرابع: أن يشكر الله عند كل مصيبةٍ أن لو شاء لابتلاه بأشدَّ منها، أو لو شاء لابتلاه بدينه وهو أشد البلاء.

الخامس: أن يتبحّر في المعرفة الإلهيّة، ويتفكّر في الصنائع الإلهيّة، وفي أنواع النعم الظاهرية والباطنية ﴿.. وإنْ تعدوا نِعمةَ اللهِ لا تُحْصُوها...﴾[1].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٤، وقال الامام السجاد عليه السلام: «لا أُحصي ثناء عليك أنتَ كما اثنيتَ على نفسك وفوق ما يقول القائلون».

وروى العلامة المجلسي في البحار: ج ٦٠، ص٢٦، باب ٣٠: «إنّ الإيمان نصفان نصفه صبرٌ ونصفه شكر».

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص٣٧ عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: مكتوب في التوراة، أشكر من أنعم عليك، وانعم على مَن شكرك، فإنّه لازوال للنعماء إذ شكرتَ، ولا بقاء لها إذا كفرتَ، والشكرُ زيادة في النعم، وأمان من التغير.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام: إنّ الله عزّوجلّ أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت علنهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة.

وللمزيد راجع اصول الكافي: ج ٢، ص٧٧، باب الشكر.

الختام

اعلم أنّه لابدّ لك من أمورٍ تُعينك على تطهير نفسك من الأوصاف الرذيلة وتجميلها بالصفات الجميلة، منها:

١ـ المواظبة على الأعمال التي تنتجها الصفات الحسنة، ويلزم نفسه بها رضيتْ بذلك أم أبتْ، فإنّ مقتضى الصفة أن يجد الإنسان في تحصيلها أو يجدّ في إبقائها والمحافظة عليها.

٢ـ المواظبة على مراقبة حال نفسه وأعماله، تأمُّل كل عملٍ قبل الشروع فيه، لئلا يعمل خلافاً لمقتضى الخُلق الحسن، وأن لا يغفل عن حاله أبداً. بل عليه أن يفتح دفتر أعماله كل يوم وليلة فيمر عليها متفحصاً فيما صدر عنه، فإنْ كان عمله خيراً حمد الله وشكره على توفيقه له، وإن كان عمل سوءاً تاب وأصلح.

٣ـ أن يحترز عما يُحرّك شهوته وغضبه، كأن يمنع عينه وأذنه وقلبه عن رؤية وسماع وتصوُّر كل ما يثير غضبه وشهوته، وليجدّ في صون قلبه عن تلك الوساوس.

٤ـ أن لا ينخدع بنفسه، وأن لا يحمل أعماله على محمل الصحة، وأن يستقصي عيوبه، وأن يسعى لإزالة ما وجد منها، وليعلم أنّ كلَّ نفسٍ تعشق صفاتها وأفعالها، فإنّ أعماله تحسن في نظره، ولن يكتشف عيوبه إلاّ بالتأمُّل ودقّة النظر.

ومن المستحسن أن يتفحّص معايبه عبر أصدقائه، وأن يترصد ما يظهره أعداؤه له من عيوب، فيجدّ في إصلاحها، وأن يتّخذ من الآخرين مرآة لرؤية عيوبه، فإذا رأى في أعمالهم قُبحاً منع نفسه من فعله، وإن رأى منهم عملاً حسناً جدّ

في فعله.

٥ـ أن يمتنع عن مصاحبة الأشرار وسيئي الخُلق، ويبتعد عنهم، وأن يلتزم مصاحبة أهل الدين والأخلاق الحسنة، فإنّ للمجالسة والمصاحبة مدخليّة عظيمةً في شخصيته، فإنّ طبع الإنسان كاللص يلتقط مايُكرر أمامه.

ابن نوح عاشَر الأشرار فنسي انتسابه الى النبيِّ
وكلب أصحاب الكهف عاشر الصالحين فأصبح آدمي[1]

علاوةً على ذلك فإنّ جليس الأشرار وأهل المعاصي شريكهم في العذاب ﴿ولاتركنوا الى الذينَ ظلموا فتمسّكُم النار...﴾[2].

لتعرف آثار مجالسة أهل المعاصي أنقل لك حديثاً شريفاً جامعاً للفوائد العظيمة، وبه أختم رسالتي هذه:

روي عن الإمام محمد جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ قوله: «مرّ عيسى بن مريم ـ عليهما السّلام ـ على قريةٍ قد مات أهلها وطيرها ودوابُّها، فقال: أما إنّهم لم يموتوا الاّ بسخطةٍ، ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا.

فقال الحواريّون: يا روح الله وكلمته ادعُ الله أن يُحييهم لنا، فيخبرونا ماكانت أعمالهم فنجتنبها.

فدعا عيسى ـ عليه السلام ـ ربه، فنُودي من الجوّ: أنْ نادهم.

فقال عيسى ـ عليه السّلام ـ بالليل على شُرفٍ من الأرض، فقال: يا أهل هذه القرية.

فأجابه منهم مجيب: لبّيك يا روح الله وكلِمته.

---

(١) تعريب شعر فارسي.

(٢) سورة هود: الآية ١١٣.

فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟

قال: عبادة الطاغوت، وحبُّ الدُّنيا، مع خوفٍ قليلٍ، وأمل بعيد، وغفلة في لهو ولعب.

فقال: كيف كان حبُّكم للدنيا؟

قال: كحبِّ الصبي لأمّه، إذا أقبلت علينا فرحنا وسُررنا، وإذا أدبرت عنّا بكينا وحزنّا.

قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟

قال: الطاعة لأهل المعاصي.

قال: كيف كان عاقبة أمركم؟

قال: بِتنا ليلةً في عافية وأصبحنا في الهاوية.

فقال: وما الهاوية؟

قال: سِجِّين.

قال: وما سِجِّين؟

قال: جبالٌ من جمرٍ تُوقَد علينا الى يوم القيامة.

قال: فما قُلتم، وما قيل لكم؟

قال: قلنا: ردّنا الى الدنيا، فنزهد فيها. قيل لنا: كَذَبتُم.

قال: ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم؟

قال: يا روح الله إنهم ملجمون بلجامٍ من نارٍ بأيدي ملائكةٍ غلاظٍ شِدادٍ، وإنّي كنت فيهم، ولم أكن منهم، فلمّا نزل العذاب عمّني معهم، فأنا معلّق بشعرة على شفير جهنّم، لا أدري أكبكبُ فيها أم أنجو منها.

فالتفت عيسى ـ عليه السّلام ـ الى الحواريين، فقال: يا أولياء الله أكل الخبز

اليابس بالملح الجريش[١]، والنوم على المزابل خيرٌ كثيرٌ مع عافية الدنيا والآخرة»[٢].

لايخفى أنّ ما نقله ذلك الرجل لعيسى ـ عليه السّلام ـ عن حال تلك القرية ينطبق على حالنا وحال أهل زماننا، فالكثير منّا يفتقر حتّى الى الخوف القليل الذي كان عند أهل تلك القرية.

أمّا قصّة حبّنا للدنيا وطول أملنا وغفلتنا ولهونا ولعبنا، فهي أوضح من أن نستعرضها هنا.

فكلّ مَنْ يرجع الى نفسه وأهل زمانه سيعلم ذلك جيداً.

وما أحسن ما ذكره الحكماء من تشبيه حالنا وغفلتنا وغرورنا بالدنيا بذلك الشخص الذي كان في صحراء، وكان مطارداً من حيوان، لجأ الرجل الى بئر وربط الحبل بوسطه، وربط الطرف الآخر للحبل بعمودٍ قرب البئر، وتدلّى هو في البئر، ثم نظر الى أسفل البئر فوجدها مَلأى من الحيوانات المفترسة الجائعة فاغرة الأفواه تنتظر وصوله لُتمزّقه، فنظر الى أعلى فوجد فأرين أحدهما أبيض والآخر أسود يقرضان الحبل، فنظر حوله لوجد عسلاً قد اختلط بتراب على الحائط اجتمع النحل عليه، فغفل عما ينتظره عند انقطاع الحبل وسقوطه في أفواه السباع الجائعة، وأخذ يأكل العسل ويُصارع النحل.

لو عرضت هذه القصة على كلّ شخص لاعتبر ذلك الرجل الأحمق والسفيه ولقال: هل هذا وقت الغفلة، ووقت أكل العسل؟ بل عليه أن يفكر بخلاص نفسه.

---

(١) الجريش: الخشن والذي لم يعد للطعام.

(٢) الكافي: ج٢، كتاب الايمان والكفر، باب حب الدنيا والحرص عليها، الحديث ١١ ص٢٤٠.

هذه القصة هي عينُ حالنا، فالدُّنيا هي بمنزلة تلك البئر، والحيوانات المفترسة بمنزلة الموت والقبر، والفأران بمنزلة الليل والنهار اللذين مادامـا يـقرضان حـبل عمرنا، والعسل المختلط بالتراب بمنزلة لذّات الدنـيا المـمزوجة بـالآلام الكـثيرة، والنحل بمنزلة أبناء الدنيا الذين نصارعهم دوماً من أجل الدنيا.

نسأل الله البصيرة والعافية، ونعوذ به من الغفلة والغواية.

* * *

تمّ الفراغ ـ بفضل الله ومنّه ـ من تصحيحه وتحقيقه
في السابع عشر من شوال من سنة ١٤٢٤ هـ
في مدينة قم المقدّسة
نزار نعمة الحسن



مصادر التحقيق

اصول الكافي للكليني
بحار الأنوار للعلامة المجلسي
تفسير العياشي
الخصال للشيخ الصدوق
الأخلاق للسيّد عبدالله شبّر
جامع السعادات للنراقي
جامع الأخبار للسبزواري
الدعوات للراوندي
روضة الواعظين لابن فتال النيشابوري
سفينة البحار للشيخ عباس القمي
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي
علل الشرائع للصدوق
غرر الحكم للآمدي
كنز العمال للمتقي الهندي
مكارم الأخلاق للطبرسي ابن صاحب تفسير مجمع البيان
مشكاة الأنوار للطبرسي ابن صاحب مكارم الأخلاق
مستدرك الوسائل للمحدّث النوري
المحجة البيضاء للفيض الكاشاني
معاني الأخبار للصدوق
نهج البلاغة للسيّد الرضي
وسائل الشيعة للحرّ العاملي

المحتويات